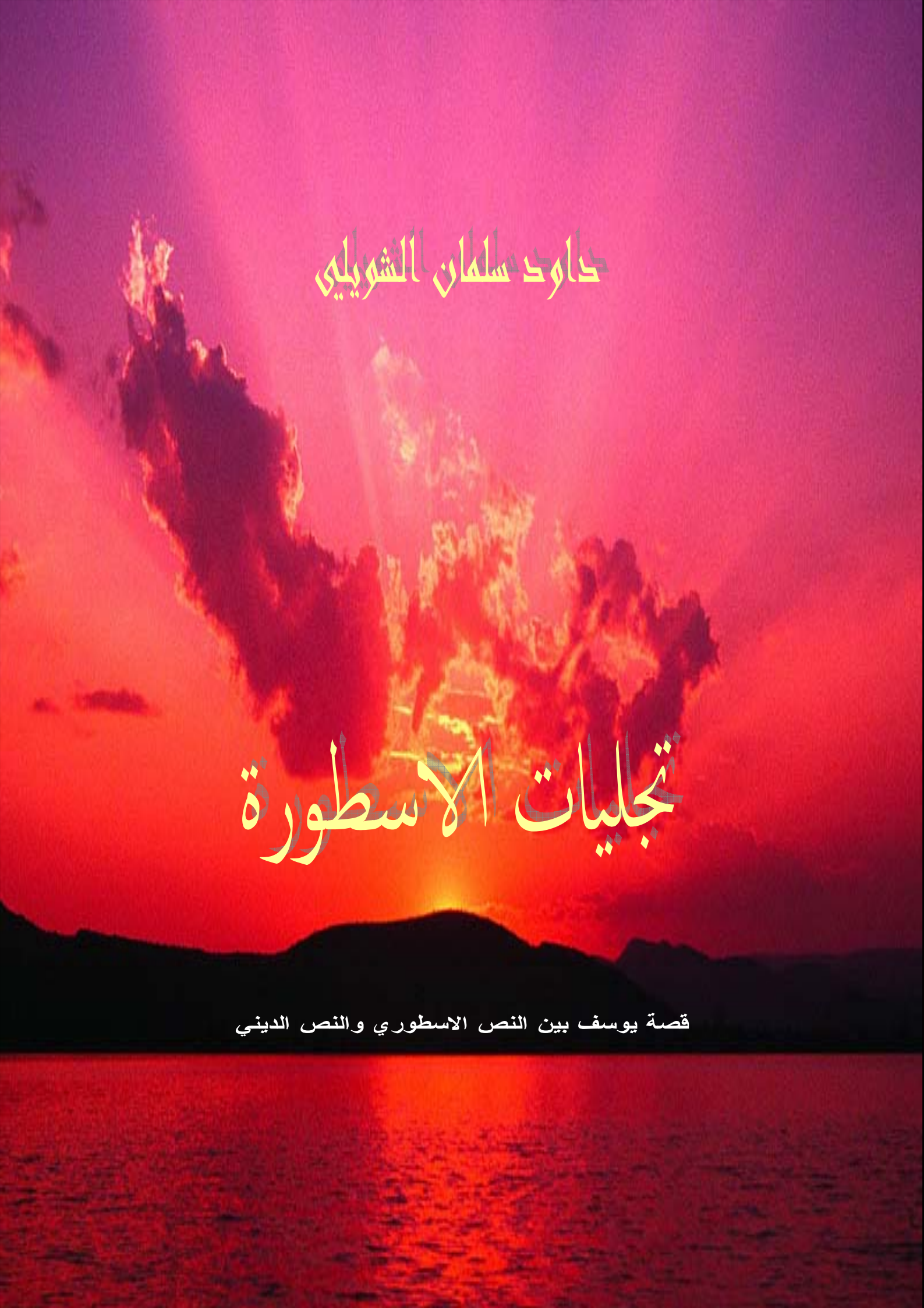
داود سلمان الشويلي
تجليات الاسطورة
قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

# تجليات الاسطورة

**قصة يوسف بين النص الاسطوري والنص الديني**

داود سلمان الشويلي

**العراق**
٢٠٠٥

**المحتويات:**

١ – تمهيد:
- وحدة الثقافة .
٢ – الفصل الاول :
-النص بين القصة القرآنية والاسطورة .
– هل يوسف نبي ؟
– النص الادبي .
– تفكيك النص .
- موضوعات النص .
- تجليات السرد في قصة يوسف .
- مورفولويا الزمن في قصة يوسف .
- الحوار .
- تقنيات بناء الشخصيات .
- القراءة السيمولوجية .
٣ - الفصل الثاني :
- نصوص القصة .
١ – النص القراني .
٢ – النص التوراتي .
٣ - النص كما ذكر في التاريخ الاسلامي .
٤ - النص بأسلوب سردي ورؤيا صوفية .
٥ - النص الاسطوري .
٤ - المصادر.

## تمهيد:

# وحدة الثقافة

هل يمكن اعتبار القصص في القران الكريم من الامور التي لا يمكن المساس بها ، ولا يمكن درا ستها وفحصها نقديا لانها تحوي مجموعة من التشريعات التي تبين حدود الشرع التي انزلها الوحي والتي تشمل الحلال والحرام خاصة ؟

سؤال حاول الكتاب - قدامى ومعاصرين - الاقتراب منه للاجابة عليه وبطرق شتى.

ونحن اذ نطرح السؤال ذاته نستذكر ان بعض كتاب الرواية والقصة – كتاب السرديات الحديثة والقديمة على السواء – قد استفادوا كثيرا من القصص القرآنية بصور شتى، لانهم وجدوا فيها موضوعات انسانية تثير مجموعة من الاشكالات.

ان النص القرآني – الالهي ،قد اصبح نصا بشرياً في اللحظة التي تكلم بها – لاول مرة – النبي محمد (ص) ، الذي كان ابن الثقافة العربية و يعيش في حضنها، حيث كونت ثقافة النبي العربي الذي نزل عليه الوحي (( و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم )) (ابراهيم – ٤ )،فأصبح عند ذاك جزءا مهما من بنية الثقافة العربية التي كانت تضم مجتمع مكة والمدينة والطائف وقتذاك .

وقد تناول اكثر من كاتب قديم ومعاصر النص القرآني باعتباره نصاً ادبياً و بشرياً - بعيدا عن القرآن الكريم - ،كالجرجاني على سبيل المثال عندما درسه على انه نص لغوي قارنه بالنص الشعري الجاهلي خاصة ، وان قوانين اللغة- النحو خاصة - تنطبق عليه كما في كتابه دلائل الاعجاز عندما صاغ نظرية النظم .

ان النص القرآني عندما تكلم به النبي محمد (ص) صار نصاً بشرياً شائع التملك ،خاصة ان الوحي يخاطب النبي (ص) بأن يجيب على تساؤلات ابناء ذاك المجتمع ، وان يحتكم - على سبيل المثال – في قضية سألة اليهود عنها - وهم بنو النضير وبنو قريظة –الى التوراة ، والتوراة- هنا بين يهود المدينة- هي جزء من ثقافة اهل المدينة (( وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)). [ مائدة : ٤٣ -٤٥ ]

ولو راجعنا شعرالفترة الجاهلية ، لوجدنا ان الكثير منه قد استفاد من هذه القصص ، أي انها كانت متداولة قبل الاسلام.

يقول الشاعر السموءل- وهويهودي من خيبر - المتوفي عام ٦٤ ق . هـ:

**وَسُلَيمانَ وَالحَواريُّ يَحيى وَمَنَسّى يوسُف كَأَنّي وَليتُ**

ويقول ايضا:

**وَهَذا رَئيسٌ مُجتَبىً ثُمَّ صَفوُهُ وَسَمّاهُ إِسرائيلَ بَكرَ الأَوائِلِ**
**وَمِن نَسلِهِ السامي أَبو الفَضلِ يوسُفُ ال ذي أَشبَعَ الأَسباطَ قَمحَ السَنابِلِ**
**وَصارَ بِمِصرٍ بَعدَ فِرعَونَ أَمرُهُ بِتَعبيرِ أَحلامٍ لِحَلِّ المَشاكِلِ**

ويذكره مرة ثالثة ، فيقول :

**وَبَقايا الأَسباطِ أَسباطِ يَعقو بَ دارِسِ التَوراةِ وَالتابوتُ**

ويقول الشاعر بشر بن ابي حازم المتوفي سنة ٣٢ ق . هـ :

**فَقُل كَالَّذي قالَ اِبنَ يَعقوبَ يوسُفٌ لِإِخوَتِهِ وَالحُكمُ في ذاكَ راسِبُ**
**فَإِنّي سَأَمحو بِالَّذي أَنا قائِلٌ بِهِ صادِقاً ما قُلتُ إِذ أَنا كاذِبُ**

وليس يوسف او يعقوب كانا الوحيدين المعروفين عند العرب ، بل نجد اشعارهم تذكر نوح وداود وسليمان واقوام عاد وثمود التي بادت ، فهذا نوح يُذكر في اشعارهم ، فيقول الشاعر زبان بن سيار الفزاري :

**أَلَم تَرَ حَوشَباً يَبني قُصوراً يُرَجّي نَفعَها لِبَني بُقَيلَه**
**يُؤَمِّلُ أَن يُعَمَّرَ عُمرَ نوحٍ وَأَمرُ اللَهِ يَحدُثُ كُلَّ لَيلَه**

فيما يقول الشاعر عدي بن زيد:

أَينَ أَهلُ الدِيارِ مَن قَومِ نوحٍ ثُمَّ عادٍ مِن بَعدِهِم وَثَمودُ
بَينَما هُم عَلى الأَسِرَّةِ وَالأَنما طِ أَفضَت إِلى التُرابِ الجُلود

ويقول الشاعر عمرو بن كلثوم :

**إِذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا وَليدٌ تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا**
**عُقاراً عُتِّقَت مِن عَهدِ نوحٍ بِبَطنِ الدَنِّ تَبتَذِلُ السِنينا**

ويقول الشاعر عنترة بن شداد:

**عَجوزٌ مِن بَني حامِ بنِ نوحٍ كَأَنَّ جَبينَها حَجَرُ المَقامِ**

اما الشاعر افنون فيذكر عاد وارم وجدن ولقمان فيقول :

**لَو أَنَّني كُنتُ مِن عادٍ وَمِن إِرَمٍ رَبيتُ فيهِم وَمِن لُقمانَ أَو جَدَنِ**

فيما يقول الشاعر :

**لَو دامَ لِتُبَّعٍ وَذَوي ال أَصناعِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ**

ويقول الشاعر النابغة الذبياني:

**إِلّا سُلَيمانُ إِذ قالَ الإِلَهُ لَهُ قُم في البَرِيَّةِ فَاحدُدها عَنِ الفَنَدِ**
**وَشَيِّسِ الجِنَّ إِنّي قَد أَذِنتُ لَهُم يَبنونَ تَدمُرَ بِالصُفّاحِ وَالعَمَدِ**

اما الشاعر زهير بن جناب الكلبي فيقول :

**أَصَبنَ سُلَيمانَ الَّذي سُخِّرَت لَهُ شَياطينُ يَحمِلنَ الجِبالَ الرَواسِيا**

والشاعر احيحة بن الجلاح فيقول:

**تَجِنُّهُمُ مِن نَسجِ داوُدَ في الوَغى سَرابيلُ حيصَت بِالقَتيرِ المُسَمَّرِ**

اما الشاعر الاسود بن يعفر النهشلي فيتمثل بقوة نسج دروع النبي داود فيقول :

**ودعا بِمُحكمةٍ أَمين سكها من نسج داودٍ أَبي سلامِ**

وان الكثير من عادات وتقاليد – جزء من ثقافة - ذلك المجتمع قد اقرها الاسلام، اوصاغها صياغة جديدة، اما بواسطة الوحي او من خلال سنة النبي (ص) التي هي وحيا كذلك ، وترى هذه الدراسة:

١ – ان المجتمع العربي ، القريشي خاصة- ومن ضمنهم مجتمع المدينة على اعتبار ان قسماً من المخاطبين كانوا من مهاجرة قريش الذين نزل ليخاطبهم - كانت ثقافته واحدة .

٢ – ان جزءا من الثقافة هذه ،هي ثقافة حنيفية - توراتية - انجيلية - وثنية - على المستوى الديني - وان النصوص ذات البنية السردية معروفة للقسم الاكبر من المجتمع العربي وقتذاك لذكرها في التوراة او الانجيل ، و ان القرآن جاء ليؤكد وجودها في الواقع وفي الكتب وان بصيغ اخرى.

وخير دليل على ذلك هي كتب التفسير التي اضافت للنص القرآني الكثير من الوحدات الحكائية ذات الصبغة الاسطورية ،التي كانت متداوله بين العرب وقد تركها الوحي من خلال تشذيبه للكثير مما كان متداولاً.

٣ – ان اكثرالاحاديث النبوية جاءت لتبين وتوضح النص القرآني للمسلمين(( لتبين للناس ما نزل اليهم ))(النحل - ٤٤) ،أي لتساعد النص الالهي على ان يكون نصاً بشرياً .

٤ – اختلاف قراءة القرآن بين المسلمين الذين كانوا من اصل غير قريشي ، أي من ثقافة ليست ثقافة المجتمع القريشي ،على اعتبار ان اللغة - حسب المفهوم السوسيري – هي نظام من العلامات ( راجع محاضرات في علم اللغة ) و هي وسيلة الاتصال التي تمثل المعرفي في الثقافة ، وما رسالة عمر بن الخطاب – كما يذكر ابن داود في كتاب المصاحف - ص ١٢ -١٤ (١ ) الى عبد الله بن مسعود الذي كان يقرأ القرآن في الكوفة بلغة هذيل، خير دليل على ذلك .

يقول فيها : (( اما بعد ، فان الله تعالى انزل القرآن بلغة قريش ، فاذا اتاك كتابي هذا فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل )).

و قضية نسخ عثمان بن عفان للقرآن ، ما هي الا عملية جيرت قضية قريشية لغة القرأن ، وكانت وصية عثمان بن عفان للناسخين ان يكتبوا – اذا اختلفوا في شيء من القرأن – بلغة قريش . (٢)

نستنتج من كل ذلك ، ان الثقافة التي كانت سائدة وقتذاك – في مجتمعات مكة والمدينة والطائف بصورة عامة - هي الثقافة القريشية – اذا صحت التسمية – كون اللغة التي كانت حاضنة لها هي لغة قريش ،التي (( ساعدت ظروف دينية وعوامل سياسية واقتصادية على ان تسود لهجة قريش خلال القرن السادس الميلادي وان تصبح لغة الشعر مهما اختلفت لهجات الشعراء )).(٣)

***

ان المقاربات النقدية الحديثة قد اعتمدت على النص من الداخل ، و قللت من هيمنة المؤلف - الله في النص القرآني و احبار اليهود في النص التوراتي و طبقة القصاصين في المجتمع العربي - والغت كل المقاربات والرؤى الخارجية عنه ، مهما كان توجه هذه المقاربات والرؤى : فكرية او اجتماعية او تاريخية اودينية

،لانها وجدت فيها وثائق ذات صبغة تاريخية – دينية ،لا تصلح الا للمهتمين بالتاريخ والدين .

ان هذه الدراسة استطاعت ان تفصل النص المدروس ( قصة يوسف) عن منتجه ، وهوالوحي ،أي ان النص القرآني اصبح نصاً بعيداً عن مقاصده التي كان من احد اسباب نزوله لتبيانها في ذلك الوقت ، انه نص لا ديني ، وان ما اراد النص ان يبينه دينيا- اهدافه ومراميه - استطاع العشرات من الكتاب ان يفسروه ويؤلوه ويشرحوه للملايين من المسلمين ، حتى بات المسلمون – وكذلك اتباع الديانات السماوية الاخرى - في مشارق الارض ومغاربها يفهمونه على انه قصة ( نبي الله) يوسف الذي تآمر عليه اخوته من ابيه – حسدا له - فالقوه في الجب ،وبعد ان اخرج منه وبيع على عزيز مصر ، راودته امرأة العزيزعن نفسه- لجماله – ومن ثم استطاعته – بمساعدة من الله - التخلص من الغواية هذه .

اذن كان الهدف الديني من نزول القصة – وحياً - هو التأكيد على ان الحسد الذي يؤدي الى التهلكة، وان المراودة عن النفس، هما من عمل الشيطان ، وان النبي معصوم من الله ، انه نص يقدم مجموعة من امراض النفس البشرية وعلاجها الميتافيزيقي .

هذا ما اوصله لنا من تناول القصة تناولاً دينياً ، اما هدف هذه الدراسة هو الخروج من هذا التناول ، واعتبار النص - على مستوى هذه الدراسة - نصاً اسطورياً . (٤)

وقد تناول الكاتب د . نصر حامد ابو زيد قضية تناص اغلب القصص في القرآن مع ما جاء في الكتب السماوية الاخرى و من ثم مع الثقافة السائدة بين قسم من ابناء المجتمع العربي وقتذاك ، قال : (( وفيما يتعلق بالنصوص القصصية الشفاهية يمكن القول ان التناص معها اعتمد على آلية الاستيعاب واعادة التوظيف من خلال سياق يعيد تأويلها تأويلا ناطقاً بايديولوجية النص . اما الموقف من النصوص الدينية فقد اعتمد آلية الانتقائية التي تقبل الاجزاء وتعيد توظيفها و تأويلها ،اما الاجزاء المرفوضة فتم تصنيفها في خانة الانحراف ، او التحريف ، الناتج عن الضلال . ومن السهل على النص ان يقوم بالتأويل و التصنيف اعتماداً على انه نص نابع من المصدر نفسه ، وان احدى مهامه من ثم تصويب الانحرافات التي احدثها البشر في اصوله السابقة )).(٥)

ان الكلمات الاخيرة للكاتب تبين مدى انتشار مثل هذه القصص في الثقافة العربية – وقتذاك – قبل نزول الوحي بها ، أي تحولها في الذاكرة الجمعية طيلة الفترة التي سبقت البعثة الى حكايات واساطير ، فرفضها القرآن ، بعد ان صاغ النص صياغة جديدة شذبه من خلال طرح ما هو زائد عن حاجة المجتمع الجديد الذي يريد ان ينشئه ، لكن - هذه الزوائد - عادت مرة اخرى على ايدي مفسري القرآن وكتاب السيرة النبوية .

من المفيد ان نذكر– ولحد يومنا هذا - خلو نتائج الحفريات الاثارية من شواهد واقعية لاغلب القصص التي اوردها القرآن .

ان الحفريات في اور الكلدانية لم تهدنا الى ابراهيم وتدميره لتماثيل مدينته ، وكذلك الحفريات في مصر الفرعونية هي الاخرى لم تزودنا بشواهد عن يوسف ،خاصة انه كان له شأناً فيها لسنوات كما تذكر بعض المصادر ذات الاساس التوراتي.

واذا كان السبب – كما يرى البعض – يعود الى الحفريات ، فان الدراسة ترى ان الاساطير – مهما كان نوعها – ذات اساس واقعي (( فالاسطورة تعبير ادبي عن انشطة الانسان القديم الذي لم يكن قد طور بعد اسلوباً للكتابة التاريخية يعينه على تسجيل احداث يومه ، فكانت الاسطورة هي الوعاء الذي وضع فيه خلاصة فكره)). (٦)

اذن فالاسطورة ، هي التاريخ غير المدون ، و بتقادم الزمن لبس - بفضفاضية - الكثير من احداث التاريخ تحت تأثير القدرة الالهية التي تصنع كل شيء ، فأصبحت اية اضافة خارج الواقع مندرجة تحت هذه القدرة ، فتحول الواقع الى لا واقع واضيف الى ما في التاريخ من معجزات لبعض الناس – وصفوا في القرآن على انهم انبياء – افعالاً ادرجت تحت مفهوم القدرة الالهية .

وما الشروحات والاضافات المختلفة في كتب التفسر وكتب السيرة الا اضافات تقع تحت مفهوم الاسطورة .

لقد فهم البعض النص القصصي المنزل على انه تاريخ ، اوجزء من التاريخ الماضي (( ان هذا لهو القصص الحق))[ آل عمران / ٦٢ ] و (( تلك القرى نقص عليك من أنبائها ))[ اعراف / ١٠١ ] ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق))[ كهف / ١٣ ]((كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ))[ طه / ٩٩ ] ،

فقد جاء في سورة يوسف : (( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين )) (يوسف - ٣ ) لكنه تحول على ايدي الشراح والمفسرين الى اسطورة اعتماداً على تلك الاضافات .

وهكذا وصلنا الواقع بغياب التدوين( التاريخ ) على شكل اسطورة قبل الاسلام :

الواقع+ اضافات متخيلة = التاريخ .

اما النص القرآني فقد جاءنا وهو مليء بالفجوات– التي تصاحب كل عملية سرد - التي تحتاج الى من يملأها ،مثل هل ان ام يوسف كانت ميتة ام لا ، وماذا فعل يوسف في الجب قبل ان يخرجه السيارة ، وهل تزوج امرأة العزيز ام لا ، ومن هو الشاهد في تبرئة يوسف من المراودة ، ولماذا اوصى يعقوب ابنائه بأن يدخلوا مصراً من عدة ابواب في السفرة الثانية ؟

اسئلة كثيرة لم يجب عنها النص القرآني لانه لم يكن معنياً بها بقدر عنايته بالجانب الاخلاقي ، ولكن مجموعة المفسرين والشراح وكتاب الحديث والسيرة النبويتين اكملوها من خارج الثقافة الاسلامية الحقة .

ومن هذا الطريق لعب بعض اليهود الذين اسلموا مؤخراً - مثل كعب الاحباروابن منبه وابن سلام وغيرهم - في ما كتبه الشراح والمفسرين لنصوص القرآن القصصية.

ان النص الاسطوري (٧) الذي تتناوله الدراسة بالتحليل هنا ، هو نص اخرس ، لا ينطق الا بقارئه ، مليء بكل النداءات المكبوتة التي من شأنها ان تجعل قارئه - أي قاريء وفي أي زمان ومكان - يتوصل الى الدلالات التي يرغب، والتي – ما برحت - تكمن في لا وعيه .

ولكي اكون اكثر صراحة مما انا عليه ، اقول لمن لايعنيه مثل هذه الدراسات- المقاربات النقدية – ان يترك قراءة هذا الكتاب ، ويتناول غيره .

**الهوامش :**

١- علوم القران الكريم – د . غانم قدوري حمد – ط٣ – المطابع المركزية- ١٩٩٩ .

٢ - المصدرالسابق - ٦٠ .

٣ - الشعر الجاهلي – د. سيد حنفي حسنين – الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ .

٤ – لا نقصد ان ما ورد في القران عبارة عن اسطورة ، ولكن تناولنا هنا هو الذي فرض هذاالتصنيف لها ، خاصة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار،الاخبار التي اكمل بها الشراح والمفسرون القصة والتي عد بعض الدارسين من الشراح والمفسرين الكثير منها على انها اساطير ، واعدوها من الاسرائيليات التي ما انزل الله بها من سلطان .

٥ - النص ، السلطة ، الحقيقة – د . نصر حامد ابو زيد - ١٠١ .

٦ - الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – د . محمد خليفه حسن احمد - دار الشؤون الثقافية العامة – ١٩٨٨ - ص ٢٣ .

٧ – اعتبارا من هذه السطور سأدعوا نص الدراسة بالنص الاسطوري ، والى هذا استرعي انتباه القاريء اللبيب .

# النص بين القصة القرآنية والاسطورة

تتيح القراءة المتأنية لقصة يوسف- بعيداً عن القرآن الكريم – على انها قد حدثت في غابر الزمان ، ولهذا فهي حكاية عما مضى شأنها –على مستوى الفن السردي - وحكايات الليالي وغيرها التي تتحدث عن الماضي ، والماضي السحيق جداً ، انها حكاية تهدف للتسلية – بالنسبة للناس - اذ ان الليالي الطوال – وقتذاك - تحتاج الى من يزجيها بمثل هذه الحكايات ، وقد كانت هي كذلك قبل نزولها في القران الكريم (( إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه يعلمه فيها ما لقي يوسف من إخوته وملكوته من الحسد مع تكرمة الله إياه تسلية له بذلك مما يلقى من إذيته وأقاربه من مشركي قريش)).( ١)

وهي للعبرة :(( لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)) ( يوسف - ٧)، لانها تحمل بين سطورها الكثير مما يندرج في هذا الباب .

جاء في سبب نزول هذه القصة :(( أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمساءلة أصحابه إياه أن يقص عليهم ، ذكر الرواية بذلك حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال حدثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا قال فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص (...) فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص )).(٢)

وهذا يدل دلالة تامة على ان ليالي العرب وقتذاك كانت تزجى بالحكايات (٣)، وعندما جاء الاسلام اصبحت هذه الحكات ذات مغزى ديني .وان الخطاب – اصلا – موجهاً الى النبي (ص):(( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)) (يوسف - ٣) لانه ، لو كان عرب المدينة - حيث نزلت فيها ، والمسلمين خاصة – غافلين عن هذه القصص لخاطبهم هم، كما خاطبهم في الكثير من الآيات .

وهي كالاسطورة التي يمكن ان تعيد نفسها باطراد وبغنى كلما قرأناها، اذ انها تكتسب اضافة متخيلة ، ستشوش بناءها ، وستفتقد الى ان تكون نصاً ادبياً فضلاً على انها نص قرآني – والدارس يرفض أي اضافات جاء بها المفسرون تحت ما سمي بالاسرائيليات، واعتبرها اضافات دخيلة على النص الالهي و غير حقيقية ولا منطقية – ((وهذه الاقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده )).(٤)

ويمكن قراءة النص على عدة مستويات:
فالنص يقرأ على المستوى المعرفي ، اذ تعتبر نصاً معرفياً ليس في وقت نزوله فقط بل يمتد الى ما لانهاية .
ويمكن قراءته على المستوى الاجتماعي ، من خلال دراسة ظاهرة الحسد بين الاخوة ، و العلاقة بين المرأة والرجل.
ويمكن قراءته على المستوى الاخلاقي ، لما يحمله النص من قيم اخلاقية عالية .
ويمكن قراءته على المستوى الاقتصادي ، توزيع الناتج القومي بين ازمان الرخاء والجدب .
وهكذا تتعدد صيغ القراءة ، دون الاعتماد على القراءة الدينية التاريخية التي امتلأت بها الكتب الدينية منذ اكثر من الف وثلثمائة عام .
والنص هذا لو اختصرناه ، ووضعناه في جملة واحدة لقلنا انه يحكي عن طفل ضاع عن اهله ووجدوه ، ولكن هذه الجملة تحمل بين ثناياها – لو فككناها – الكثير مما يقال ، وهذا هو غاية هذه الدراسة .

***

ومن الجدير بالذكر ان سورة يوسف في القرآن تفتتح بآية فيها لفظ واحد يحمل اشكالا جعل الكثير من المفسرين وعلماء الدين يختلفوا في تأويله ، وهولفظ ( احسن ) التي يصف بها الله سبحانه القصة التي ذكرت في سورة يوسف: (( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)) ، فهل لفظ احسن اريد به ان هذه القصة هي الاحسن مضمونا – كالعبر والحكم التي فيها- مما رويت به هذه القصة عند العامة في ذلك الوقت او الذي قبله ، ام كانت الاحسن في طريقة الاسلوب الذي اتبعته (سرديا)؟ ام كان ذلك يعني انها الاحسن كون القصة كاملة على خلاف غيرها من القصص الاخرى التي تناولت حياة الرسل والانبياء؟
على الرغم من هذه الاسئلة وما ورد من اجوبة عنها طيلة الف واربعمائة سنة من تاريخ نزول القرآن الكريم ، يمكن القول ان هذا اللفظ جاء ليؤكد ان القرآن ميز هذه القصة من بين قصصه .
واخيرا فأن ما يؤكد ما ذهبنا اليه هو :
آ - كثرة الشبهات التي احاطت بالنص القرآني ، خاصة اذا اعتبرنا يوسف نبي معصوم، فالآية لا تدل على ذلك مما دعا العلماء الى دفع هذه الشبهات عن يوسف بشتى التمحلات القولية والتأويلية والتفسيرية حتى نرى العالم الفخر الرازي في كتابه عصمة الانبياء ( ٥) يعدد احد عشر شبهة اخلاقية تخرجه عن كونه نبياً نلخصها هنا،من مثل :
١ – همه بأمرأة العزيز .
٢ - صبره على الرق ،وذلك معصية .
٣ - قوله : (( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء )).
٤ - أنهم سجنوا يوسف ، وذلك معصية بالاتفاق وأنه قال: (( رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه )) فيدل ذلك على محبته لتلك المعصية .

٥ ـ كيف يجوز على يوسف مع نبوته أن يعول على غير الله في الخلاص من السجن في قوله للذي كان معه (( اذكرني عند ربك )) حتى وردت الروايات أنه إنما طال مقامه في الحبس لأنه عول على غير الله ؟
٦ ـ ما الحكمة في طلب أخيه من إخوته ، ثم حبسه عن الرجوع إلى أبيه مع علمه بما يلحق أباه من الحزن ؟ وهل هذا إلا ضرر بأبيه ؟
٧ ـ ما معنى جعل السقاية في رحل أخيه ؟
٨ ـ ما بال يوسف لم يعلم أباه خبره حتى تسكن نفسه ويزول حزنه؟
٩ ـ قال الله تعالى: (( ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا )) وكيف رضى بأن يسجدوا له والسجود لا يكون إلا لله ، وكيف رضى باستخدام الأبوين ؟
١٠ـ ما معنى قوله تعالى حكاية عنه: (( من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ))؟
١١ ـ ما معنى قوله عليه السلام :(( اجعلني على خزائن الأرض )) وكيف يجوز أن يطلب الولاية من قبل؟
ب – اضافة لذلك ، فمما يدفعنا الى الاعتقاد بأنها اسطورة– على الاقل قبل نزول الوحي - كان يتداولها العامة قبل وبعد النبوة هو ان اليهود عربوا قصة يوسف ، فقد روى عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ج ٦ ص ١١٣ : (( عن الزهري أن حفصة زوج النبي جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه عليه والنبي يتلون وجهه فقال : والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم )) .(٦)
ج – وكذلك ما جاء في (مذاهب التفسير الاسلامي ) لجولد تسهر ص ٢٥٥ : (( وقصة يوسف واخوته . . تأخذ عند ابن عربي صورة من التمثيل بالقوى الروحانية عن طريق التأويل .. فيوسف هو القلب .. العقل المحسود من اخوته من العلات اي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والغضب والشهوة )). (٧)

**الهوامش :**

١ـ الطبري: ج١٢ :١٥٤ .
٢ـ كما يقول الطبري في التفسرج١٢ ص١٥٠ – المكتبة الالفية .
٣ ـ مما يدل على عدم افتقار ليالي العرب من المسامرة هو هذا الكم الهائل من الحكايات والاساطير والتي ضمتها امات الكتب والقسم الكبير من حكايات الف ليلة وليلة .
٤ ـ تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ١٩ .
٥ – عصمة الانبياء – الفخر الرازي – انظر : المعجم العقائدي – الاصدار الاول.
٦ ـ المعجم العقائدي – الاصدار الاول .
٧ ـ المعجم العقائدي – الاصدار الاول ـ أضواء على الإسرائيليات في مصادر السنة والشيعة .

# هل يوسف نبي ؟

سؤال طالما طرحته على ذائقتي المعرفية ، وكذلك مخزون قراءاتي ، وما طالعته من بعض كتب الاولين والاخرين : هل يوسف نبي ؟

ان قراءة متأنية لما جاء في القرآن الكريم ، نجد ان فتى الملك يدعوه بـ (الصديق) ، يقول تعالى :

(( يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون)). [ يوسف / ٤٦ ]

ويذكره النبي محمد (ص) بـ (الكريم ) : (( الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم )).

ان النبي(( هو انسان من البشر اصطفاه الله بالوحي اليه دون ان يرسله الى الناس بالتبليغ ، اما الرسول فهو انسان من البشر اوحى الله اليه بشرع وامره بالتبليغ)). (١)

اذن من اين جاءت نبوة يوسف ؟

ان سورة يوسف وهي تتابع يوسف من صباه الى ان التقى بوالديه لم تذكر انه قد بشر بأية ديانة او تعاليم سماوية ، وانما السورة تذكر المؤامرات التي حيكت ضده والتي نجاه الله منها، وبعض التصرفات التي قام بها والتي تخرجة من وصفه نبيا،وقد ذكرها الفخر الرازي في كتابه عصمة الانبياء.

اما الاية التي ذكرت في سورة غافر ، فهي لا تدل دلالة كاملة على نبوته ، لان البينات التي ذكرت في الاية غير معروفة، الا اننا يمكن ان نقول عنها انها لا تعدوا ان تكون كأفعال الولي الصالح (٢) مع موسى والذي يقول عنه بعض المفسرين انه الخضر .

((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)). [ غافر ٣٤ ]

نتساءل : ما هي البينات التي جاء بها يوسف ؟

ان سورة يوسف التي جاءت بقصة حياة يوسف لم تذكر اية بينة من البينات بل ان الله هو الذي سلح يوسف بكل ما يحتاج اليه من اسلحة ميتافيزيقية :(( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم * لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين )).

اضافة لذلك فأن معنى الاية لاينصرف الى ان يوسف كان نبياً، لان الاية تقول : ((حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)).[ غافر/ ٣٤ ]

حتى ان العلماء والكتاب القدامى لم يبينوا الى أي قوم قد ارسل .فقد ارسل جميع الرسل والانبياء الذين ذكرهم القرآن الى اقوامهم، فقال سبحانه: ((ويا قوم لايجرمنكم

شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد)). [ هود / ٨٩ ]

((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط )).[ حج / ٤٢ - ٤٣ ]

(( كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق ١٢ - ١٤ ]

فقد ارسل الله سبحانه وتعالى :

**١- نوح الى قومه:**

(( ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث الف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون *فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين )).[ العنكبوت - ١٤]

((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [ حج / ٤٢ - ٤٣ ]

((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق ١٢ - ١٤ ]

(( ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم* ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين )).[ انبياء / ٧٦ - ٧٧]

**٢- هود الى قوم عاد :**

(( وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق / ١٣ - ١٤ ]

(( وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [ حج / ٤٢ - ٤٣ ]

(( كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)). [الشعراء/ ١٢٣-١٢٧]

(( إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا )).[ نساء / ١٦٣ ]

((إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). [نوح/ ١]

**٣- صالح الى قوم ثمود :**

((إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون)). [ الشعراء ١٤٢ ]

(( وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)). [ ص ١٣ - ١٤ ]

(( كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق ١٢ - ١٤ ]

(( فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)) . [ اعراف ٧٧ ]
((قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب)). [ هود ٦٢ ]
((فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز)). [ هود ٦٦ ]

**٤- إبراهيم الى قومه:**

(( وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط)). [ حج ٤٢ -٤٣ ]
(( وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون )). (العنكبوت : ١٤ - ١٦)

**٥- لوط الى قومه (اهل سدوم):**

(( كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون)). [ الشعراء: ١٦١ - ١٦٢ ]
(( قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين * قال إني لعملكم من القالين)). [ الشعراء: ١٦٧ - ١٦٨ ]
(( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)). [ النمل: ٥٦ ]
(( ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين)). [ العنكبوت: ٢٨ ]
(( وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)). [ ص:١٣ - ١٤ ]
(( كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق: ١٢ - ١٤ ]
(( كذبت قوم لوط بالنذر )).[ قمر: ٣٣ ]
((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦].
((ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)). [ هود: ٧٧ ]
((قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)). [ هود: ٨١ ]
(( ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين )).[ انبياء:٧٤ ]

**٦- شعيب الى اصحاب الايكة :**

(( إذ قال لهم شعيب ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين)). [ الشعراء: ١٧٧ - ١٨٠]

(( وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب)). [ ص: ١٣ - ١٤ ]
(( وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد)). [ ق: ١٤ ]
((قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين)) [ اعراف: ٨٨ ]
((وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط)). [هود: ٨٤ ]
((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لانت الحليم الرشيد)). [ هود: ٨٧ ]
((قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)). [ هود: ٩١ ]
((ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)). [ هود: ٨٤ ]

**٧ - الياس الى قومه :**

(( وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)) . [الصافات: ١٢٣ - ١٣٢].
((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ)). [الأنعام: ٨٥].

**٨ – ابراهيم الى قومه :**

(( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)). [الأنعام: ٨٣]
(( وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ)). [ص: ٤٥-٤٧].
((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)). [مريم: ٤٩-٥٠].
((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[النساء: ١٦٣].
((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ)).[ص: ٤٥-٤٧].
(( ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين)). [ العنكبوت: ٢٧ ]
(( ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين )).[ الانبياء: ٥١ ]

**٩ – موسى الى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ :**

(( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ)). [غافر: ٢٣-٢٥]

***

وهناك انبياء لم يذكر القرآن الى أي قوم هم مرسلون ، او انهم انبياء ، ولكنه كان يذكرهم مع انبياء اخرين معروفين بالنبوة والرسالة :

**١- يونس :**

(( وان يونس من المرسلين )) . [ الصافات : ١٣٩ ]

((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[النساء: ١٦٣]

((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

**٢ – اسماعيل:**

(( وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)). [مريم: ٥٤-٥٥]

(( إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

**٣ – ادريس:**

(( وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)). [مريم: ٥٦-٥٧]

**٤ – اليسع:**

(( وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الأَخْيَارِ)). [ص: ٤٨]

((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)). [الأنعام: ٨٦]

**٥ - ذو الكفل:**

(( وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الأَخْيَارِ)). [ص: ٤٨]

**٦ – اسحاق ويعقوب :**

(( فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)).[مريم: ٤٩-٥٠].

((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ)). [ص: ٤٥-٤٧]

(( ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين .[مريم:٤٩]

**٧ – زكريا ويحيى :**

((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ)). [الأنعام: ٨٥]

((فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين)).[آل عمران :٣٩]

**٨ – ايوب :**

((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣].

***

ومن الانبياء من اعطاهم كتابا ، من مثل:

**١ – داود :**

((وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)).[الإسراء: ٥٥].

((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)). [ص: ٢٦]

((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)). [النمل: ١٦]

(( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون )).[انياء: ٧٨ -٨٠]

وقد جمع الله سبحانه في اية واحدة اغلب الانبياء والرسل ، فقال: ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)). [النساء: ١٦٣]

اما اصحاب الرسالات الثلاثة فمعروفين للقاصي والداني .

وفي هذه الايات لم يذكر يوسف كنبي او مرسل، خاصة ان الله سبحانه قال : (( كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)) (البقرة : ٢١٣)، وكذلك : (( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما))( النساء : ١٦٥)، فأين هو كتاب يوسف ، او تعاليمه ، او تأكيد لما جاء من قبله؟

قال الجاحظ في الحيوان: ((ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحاقَ بن إبراهيمَ كَانَ أنبَهَ أهْلِ زمانِه؛ لأنّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ، وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النَّباهة بالموضع الذي لا يُدفَع، وله البُرْدُ، وإليهِ يرجع جوابُ الأخبار، ثمَّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عَليهما السلام- دهراً من الدُّهور، مع النَّباهةِ، والقُدْرةِ، واتّصال الدار)). (٣) نراه قال عن يعقوب انه نبي وعن يوسف قال :وزير ، ولم يقل عنه نبيا، مما يدل ان اكثر العلماء والكتاب لا يعتبره نبيا .

**الهوامش :**

١ - قرص السيرة النبوية – انتاج شركة الرشيد للحواسيب.

٢ – حول نبوة الخضر وعدم نبوته بحث حسن بن علي السقاف في هذه المسألة والف كتاب بذلك . انظر (القول العطر في نبوة سيدنا الخضر). برنامج المعجم - الاصدار الثالث.

- ويقول الشيخ الصدوق عن الخضرفي ( كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٣٨٥ ) : ((...عن عبد الله بن سليمان قال : قرأت في بعض كتب الله عزوجل أن ذا القرنين كان عبدا صالحا جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبيا ، فمكن الله له في الارض وآتاه من كل شئ سببا ، فوصفت له عين الحياة وقيل له : من شرب منها لم يمت حتى يسمع الصيحة وإنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عينا و كان الخضر على مقدمته ، وكان من أحب الناس إليه فأعطاه حوتا مالحا ، وأعطى كل واحد من أصحابه حوتا مالحا ، وقال لهم : ليغسل كل رجل منكم حوته عند كل عين ، فانطلق الخضر عليه السلام إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيي وانساب في الماء ، فلما رأى الخضر عليه السلام ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين و معه حوته ، ورجع الخضر وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال له : أشربت من ذلك الماء ؟ قال : نعم ، قال : أنت صاحبها وأنت الذي خلقت لهذا العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الابصار إلى النفخ في الصور )).

٣ - الحيوان – الجاحظ - قرص الشعر.

# النص الادبي

كما جاء في النص القرآني والنصوص الاخرى ، يمكن بناء نصا ادبيا بعيدا عن التزويقات الادبية الفنية خاصة الوصف وسيكون عماد هذه الدراسة .

كان يوسف صبي يعيش مع عائلته ، ابيه واخوته من والده ، وذات ليلة رآى في المنام رؤية قصها لوالده :

قال يوسف لابيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .

قال الاب محذرا : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا .

***

لما رآى اخوة يوسف من ابيه محبة الاب ليوسف اكثر من محبته لهم حسدوا يوسف ، واتفقوا على ان يقتلوه، الا ان احد الاخوة طلب منهم اذا كانوا عازمين على قتله فعليهم ان يرموا به الى البئر عل بعض القوافل السيارة تلتقطه .

قال اخوته من ابيه : ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة.

واتفقوا فيما بينهم :اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين .

قال قائل منهم : لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين.

ذهبوا الى ابيهم ، وقالوا له: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ، ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون.

توجس الاب خيفة من طلبهم ، فرد عليهم قائلا:

: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

قالوا : لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون.

ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب.ثم عادوا الى ابيهم عشاء وهم يبكون، وبيدهم قميصه ملطخا بدم كذب .

قالوا :يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

قال الاب غير مصدق : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

***

في الوقت نفسه ،جاءت قافلة متجهة الى مصر، فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه .

قال الوارد: يا بشرى هذا غلام .

اخذوه معهم الى مصر ، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

وقال الذي اشتراه من مصر- وهو وزير فرعون - لامرأته :أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا.

ومرت الايام بيوسف وهو في بيت العزيز ،ولما بلغ أشده اعجبت زوجة العزيز بجماله ، فهامت به عشقا (همت به) اما هو فقد قاسمها هذا الهم (وهم بها)، ( و راودته التي هو في بيتها) عن نفسه، وغلقت الابواب بعد ان هيأت له مضجعا ، وقالت : هيت لك.

فرفض بعد ان تنبه الى ما تريده زوجة العزيز من فاحشة ، وبعد ان تذكر اهتمام سيده له ، فقال لها: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون .

فهرب منها ناحية باب الدار(واستبقا الباب) ، فجذبته من قميصه من الخلف ، (وقدت قميصه من دبر) و بينما هما كذلك فاجأهم العزيز عند الباب .

اسرعت الزوجة بالقول مدارية فعلتها الشنعاء : ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟

قال الزوج : يسجن أو يعذب عذابا أليما .

الا ان يوسف رد مدافعا عن نفسه : هي راودتني عن نفسي.

وبينما هما في جدالهم ، (شهد شاهد من أهلها ) وقال : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين).

تفحصوا القميص ، فلما رأى زوجها قميصه قد من دبر ، قال:( إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ).

ثم قال العزيزليوسف ناصحا: (يوسف أعرض عن هذا ).

والتفت الى زوجته ناصحا، قال: ( استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين).

***

وشاع امر الواقعة بين نساء المدينة، فقلن:( امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه،و قد شغفها حبا) ،ثم اكدن:( إنا لنراها في ضلال مبين) .

فلما سمعت زوجة العزيزكلامهن وكيف انهن رمينها بالضلال ، أرسلت إليهن ، وأعدت لهن مجلسا،وآتت كل واحدة منهن سكينا وفاكهة، وقالت ليوسف :( اخرج عليهن).

خرج يوسف امامهن شابا جميلا مكتمل الرجولة ، ( فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) ، وقلن: (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم).

قالت معاتبة: ( فذلكن الذي لمتنني فيه) . ثم تابعت قولها اليهن :( لقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكون من الصاغرين) .

عندما عرف يوسف تصميمها على ذلك ، قال مناجيا نفسه : (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) .

فاستجاب له ربه وسجنه العزيز .

***

ودخل معه في السجن شابان ، احدهما ساقي الملك والاخر خبازه ، وفي المنام رأيا رؤية:

قص الساقي رؤياه على يوسف قائلا: (إني أراني أعصر خمرا).

وقال الخبازليوسف قاصا له ما رآه في المنام :( إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه).
وسألاه تأويل رؤياهم .
قال يوسف معبرا رؤياهم : (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) .
ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما- الساقي - : (اذكرني عندالملك) .
الا ان الساقي نسي طلب يوسف، فلبث يوسف في السجن بضع سنين .
***
وفي احد الايام ، رآىالملك رؤيا في المنام ، فطلب من المنجمين تأويلها .
قال الملك يقص رؤياه : ( إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ).
ثم تابع قوله : ( يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون) .
قال المنجمون : ( أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) .
وبحث الملك واعوانه عن من يفسر الرؤيا ، عند ذاك تذكر الساقي يوسف ، فقال:
: أنا أنبئكم بتأويله . واخبر الملك بخبر يوسف ، فأرسله الملك ليسأل يوسف .
قال الفتى الى يوسف : ( يوسف أيها الصديق، أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون).
قال يوسف معبرا رؤيا الملك : (تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) .
عاد الفتى الى الملك واخبره بما قاله يوسف ، فقال الملك : ائتوني به .
ذهب الفتى ليخرجه من السجن ، الا ان يوسف رفض ان يخرج من السجن ما لم يبرأه الملك من حادثة المراودة .
قال يوسف لساقي الملك : ارجع إلى الملك فاسأله ( ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟).
وعندما سمع الملك بذلك ارسل بطلبهن ، وسألهن: ( ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) .
قلن: ( حاش لله ما علمنا عليه من سوء) .
وقالت امرأة العزيزمقرة بخطأها : ( الآن حصحص الحق ،أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) .
وقال الملك: ( ائتوني به أستخلصه لنفسي) .
عندما سمع يوسف باجابتهن قال : ( ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولكن ما أبرئ نفسي ، إن النفس لامارة بالسوء ،إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ).
خرج يوسف من السجن بعد ان اصبح بريئا.
قال له الملك: ( إنك اليوم لدينا مكين أمين) .

فطلب منه يوسف قائلا: ( اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم ).
فجعله الملك مسؤولا عن خزائنه .

***

مرت في البلاد مجاعة كما قال يوسف عندما عبر الرؤيا ، واصابت اهله ، فجاء اخوته ،ودخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون .

ولما جهزهم بجهازهم، قال: (ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) .

قالوا: سنقنع أبانا ليرسله معنا .

وقال يوسف لفتيانه:( اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون).

***

رجع الاخوة إلى أبيهم، قالوا له: ( يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون).

قال ابوهم يعقوب : (هل آمنكم عليه كما أمنتكم على أخيه من قبل؟ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

( ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم).

قالوا: ( يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير).

قال الاب : ( لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني) .

(فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) .

ثم اوصاهم قائلا : ( يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) .

***

ذهب الاخوة الى مصر ، ولما دخلوا على يوسف اختلى بأخيه واعلمه بأنه اخيه .

فلما جهزهم بجهازهم جعل المكيال في رحل أخيه ، بعد ان اتفق مع فتيانه ان يفعلوا ذلك ، (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ) .

قال فتيان يوسف : ( نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير) .

انكر الاخوة ذلك وقالوا: (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين).

قال فتيان يوسف : (فما جزاؤه إن كنتم كاذبين).

رد الاخوة عليهم: ( جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه).

بحثوا في الأوعية ابتداء من اوعية الاخوة ، فوجدوه في وعاء أخيه.

قال الاخوة مبرئين ذمتهم من السرقة : ( إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل).

( فأسرها يوسف – هذه التهمة - في نفسه ولم يبدها لهم).

وقع ذلك بيد الاخوة ، وراحوا يتوسلون الى يوسف ان يترك اخاهم معهم ، قالوا: ( يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين) .

رد يوسف عليهم : ( معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون).

)فلما استيأسوا منه عادوا الى اهلهم) .
قال كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ، ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين .

***

عاد الاخوة الى قريتهم ، واخبروا ابيهم بذلك ، ولما عرفوا انه لا يصدقهم ،قالوا لابيهم : اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون .
قال الاب: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم، ثم قال: يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم .
قال الاخوة لابيهم : تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين .
قال الاب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

***

عاد الاخوة مرة اخرى ، فلما دخلوا على يوسف ، قالوا له : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.
قال يوسف :هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون .
قالوا : أئنك لانت يوسف؟
قال يوسف :أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .
قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين.
قال :لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين .

***

وعادوا الى ابيهم ، قال أبوهم :إني لاجد رائحة يوسف معكم.
فلما أن جاء البشيربالقميص وألقاه على وجهه ارتد بصيره.
قال: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون .
قالوا: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين .

***

وذهب الجميع الى يوسف ، فلما دخلوا عليه، آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين .
وكرم والديه وقال لهم :هذا تفسير رؤياي .

# تفكيك النص

لاجل الدراسة ، يمكن اجراء عملية تفكيك للنص ،حسب الانتقال في المكان ، او تغير الموضوعة الرئيسية لذلك القسم ، وتحويله الى مجموعة من الاقسام لتسهل عملية دراسته ، ومعرفة كيفية تعامل النص مع الزمن ، وكيف قدمت موضوعاته والاحداث التي صاغت الشخصية الرئيسية للنص .

**القسم الاول:**

المقطع الاول :

يبدأالنص من اللحظة التي اخبر بها يوسف والده يعقوب ما رآه في الرؤيا ، أي ان القصة تبدأ بالحوار الذي يجري بين الابن وابيه .

فقال الاب موصياً ابنه : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين.(١)

فسمع اخوته بذلك ، وسموه بـ (صاحب الاحلام - التوراة)، وتآمروا عليه .

المقطع الثاني :

ينتقل النص في هذا المقطع الى اخوة يوسف وتآمرهم عليه ، والانتقال هذا يتم على مستوى الزمان والمكان ، ويأتي الخطاب على شكل حوار يدور بين الاخوة .

قالوا فيما بينهم : ان يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ، واكدوا قائلين :إن أبانا لفي ضلال مبين.

وتآمروا فيما بينهم : اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين.

قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين .

المقطع الثالث :

ينتقل النص في هذا المقطع – في الزمان والمكان – لينقل لنا الحوار الذي يدور بين اخوة يوسف وابيهم وهم يقنعونه بأن يوافق على مرافقة يوسف لهم في خروجهم للرعي .

قالوا لابيهم : يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ، ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون.

قال لهم : إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

فقالوا له : لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون.(٢)

المقطع الرابع:

خروجهم الى المرعى ، وتنفيذ الذي قرروه، فالقوه في الجب .

المقطع الخامس:

يرجعون الى والدهم ويخبروه بأن الذئب قد اكل يوسف، واروه قميصه وقد اصطبغ بدم كذب .

المقطع السادس:

يعودالنص الى مكان البئر ويوسف، اذ تخرجه من البئر قافلة جاءت تستقي منه.

***

**القسم الثاني :**

هذا الجزء فقير جدا بالمعلومات ، وتبقى هناك اسئلة كثيرة سكت عنها النص ، من مثل كم بقي في البئر ؟ وكيف تم اخراجه ؟ وكيف عومل من قبل القافلة ؟ وكيف بيع على العزيز ؟

تدور احداث هذا القسم في مصر ، وقد كبر يوسف في بيت الشخص الذي اشتراه .

المقطع الاول :

ينتقل النص - في المكان والزمان - ليخبرنا ان القافلة قد باعت يوسف الى العزيز بثمن بخس، والذي بدوره يطلب من زوجته ان تكرمه عسى ان ينفعهم او ان يتخذوه ولدا لهم .

المقطع الثاني:

يخبرناالنص ان يوسف قد كبر، وقد اتاه الله الحكمة والعلم .

المقطع الثالث :

راودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الابواب ،وقالت له :هيت لك. فقال لها : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي .(٣)

ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر .

وألفيا سيدها لدى الباب.

قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء .

فقال لها زوجها : إلا أن يسجن أو عذاب أليم.

قال يوسف مدافعا عن نفسه : هي راودتني عن نفسي.

وشهد شاهد من أهلها فقال : إن كان قميصه قد قد من قبل صدقت هي ، وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد قد من دبر كذبت هي، وكان هو من الصادقين .

فلما رأى العزيز قميصه قد قد من دبر ، قال : إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، عندها اوصى العزيز يوسف ان يعرض عن هذا الفعل ، فيما اوصى زوجته ان تستغفر لذنبها إن كانت من الخاطئين.

المقطع الرابع :

شاع خبر مراودتها ليوسف بين نساء طبقتها .((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين )) .

فلما سمعت بالشائعة، أرسلت إليهن ، بعد ان أعتدت لهن مجلساً ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً- وقيل مع التفاح - وقالت اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه لجماله فقطعن أيديهن وقلن: حاش لله ما هذا بشر،إن هذا إلا ملك كريم .

قالت لهن : ذلك الذي لمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكون من الصاغرين.

فسمع يوسف ما دبرت له ، فقال مع نفسه : رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإن لا تصرف عني كيدها أصب إليها وأكن من الجاهلين .
فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدها .
و امر سيده بسجنه بعد ان اصرت زوجة العزيز.

المقطع الخامس :

وبعد فترة من الزمن دخل شابين السجن .ورأيا ليلا رؤى ، ورويا رؤياهما الى يوسف .
قال أحدهما : إني أراني أعصر خمرا.
وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه .
ثم طلبا منه :نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين.
قال لهما بعد ان وعظهم : يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، .
وبعد ايام خرجا من السجن .
فقال للذي ظن أنه ناج منهما : اذكرني عند سيدك .
ولكن الشيطان أنساه ما اوصاه يوسف، ولم يخبر للملك بذلك ، فلبث في السجن بضع سنين .

المقطع السادس :

في ليلة ما رأى ملك المدينة رؤيا ، فارسل الى المفسرين وطلب منهم تفسيرا لها ، وقال لهم : يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون .
سالوه عما راى ، فقال لهم: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات.
فأجابوه قائلين : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين .
تذكر الشاب الذي خرج من السجن يوسف و ما اوصاه به، فقال للملك: انا أنبئكم بتأويله . وطلب من الملك ان يرسله الى السجن ليسأل يوسف .
عندما التقى بيوسف ساله : يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.
قال يوسف مفسرا رؤيا الملك : تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.
عاد الشاب - خادم الملك - بتفسير يوسف للرؤيا واخبر الملك ، فاعجب بالتفسير وطلب ان يؤتى به .
الا ان يوسف رفض الذهاب الى الملك ما لم يبرأه. قال يوسف : ارجع إلىسيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟
ارسل الملك في طلب النسوة وامرأة العزيز وسألهن عن ذلك . فقلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء.
و اقرت امرأة العزيز بذنبها وقالت : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.

فتأكد للملك وللعزيز بأن يوسف بريئاً .
قال يوسف: ليعلم العزيزأني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، واكد مع نفسه : وما أبرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .
وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي.
وطلب يوسف من الملك ان يجعله على خزائن الارض ، فكان له ذلك .

***

**القسم الثالث :**

المقطع الاول :

اصاب المملكة جدب ومجاعة كما اخبر يوسف بذلك بعد ان مرت سنوات سبع كان فيها يوسف يجمع المحاصيل الزراعية.
وعندما امحلت الارض وانتشرت المجاعة ، جاء إخوة يوسف ليمتروا منه ، فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.
قال لهم : ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون.
قالوا له : سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون .
ثم امر يوسف فتيانه قائلا : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون .

المقطع الثاني :

فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا لابيهم : يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون. (٤)
قال ابيهم : هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير .
قال: لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم.
فلما آتوه موثقهم قال: الله على ما نقول وكيل .
ثم اوصاهم قائلا: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة .

لمقطع الثالث :

فذهب الاولاد ومعهم اخيهم الصغير- شقيق يوسف - ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم - ما كان يغني عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها- على يوسف آوى إليه أخاه.
قال لاخيه : إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون .
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه لكي يبقيه معه دون ان يعلمون ، ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون.
وقال اعوان يوسف : نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم .
قال الاخوة : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين.

قال الاعوان : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين.
قال الاخوة : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين .
وبحثوا عنه في اوعية الاخوة ووجدوه في اوعية شقيق يوسف.
خاف الاخوة وقالوا : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل .
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، و قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين. قال يوسف : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون .
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ،ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين .

المقطع الرابع :

عاد الاخوة الى اهلهم واخبروا والدهم بذلك ، ولكي يصدق قولهم قالوا له : اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون.
قال ابيهم : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم .
تولى عنهم، وقال: يا أسفى على يوسف.
ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم.
قالوا الاخوة لابيهم : تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.
قال ابيهم : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون . وطلب منهم ان يذهبواويسألوا عن يوسف وأخيه وطاب منهم ان لا ييأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

المقطع الخامس :

عادوا الى مصر مرة اخرى ، وذهبوا الى حيث يوسف ، فلما دخلوا عليه قالوا: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين .
قال لهم يوسف : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون .
قالوا بعد ان عرفوه : أئنك لانت يوسف ،
قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.
عندها اقروا بخطأهم ، ثم قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين .
قال يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ،اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين .

***

**القسم الرابع :**

عادوا الى ابيهم، ورموا قميص يوسف عليه فعاد بصره اليه ، واخبروه بذلك.

***

**القسم الخامس :**

اخذوا ابيهم وام يوسف اليه (٥).

وفي هذا القسم اكتملت دورة سردية النص : ((ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم )) .

**الهوامش :**

١ - تذكر التوراة ان يوسف راى رؤيا اخرى سبق هذه الرؤيا:

(( وَحَلَمَ يُوسُفُ حُلْماً قَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَازْدَادُوا لَهُ بُغْضاً. قَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هَذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلَمْتُهُ.رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَماً فِي الْحَقْلِ، فَإِذَا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لَهَا».فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟» وَزَادَ بُغْضُهُمْ لَهُ بِسَبَبِ أَحْلاَمِهِ وَكَلاَمِهِ)).

٢ - فيما تذكر التوراة ان يعقوب هو نفسه يطلب من يوسف ان يخرج ليلحق بأخوته (( اذْهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلَى إِخْوَتِكَ وَعَلَى الْمَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ)).

٣ - قال صاحب الكشكول : (( وهكذا حكي عن زليخا: أنها فصدت يوماً فارتسم من دمها على الأرض: يوسف يوسف.

قال صاحب الكشاف: ولا تعجب من هذا، فإن عجائب بحر المحبة كثير)). (الكشكول - بهاء الدين العاملي) قرص الشعر

٤ – ومن ضمن الاضافات على النص الالهي كما ذكر في الكشاف ، ان يعقوب ارسل رسالة الى يوسف ،وهذه صورة كتاب يعقوب إلى يوسف بعد إمساكه أخيه الصغير باتهامه بالسرقة نقلتها من الكشاف: ( من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر: أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه النار برداً وسلاماً، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم آتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به فذهبوا به، ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام).

قال صاحب الكشاف: فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وبكى وكتب في الجواب: (إصبر كماصبروا، تظفر كما ظفروا). ( الكشكول - بهاء الدين العاملي) قرص الشعر

٥ – تذكر المصادر ان ام يوسف قد توفيت عندما كان طفلاً، وان الذي تكفلت به خالته وقيل عمته .

# موضوعات النص

هناك عدة موضوعات تناولها النص ، من خلالها يمكن ان نصل الى الدلالات الرئيسية للنص المدروس ، من مثل: الحسد ، الجنس ، تفسير الاحلام ، المكيدة ، الحيلة ...الخ .

## ١ ـ المحن التي مر بها يوسف :

### آ ـ حسد الاخوة : (١)

((إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)). [ يوسف: ٨]

يؤكد اكثر علماء النفس والاجتماع ان الحسد مرض نفسي لا يمكن معالجته الا من داخل نفسية الحاسد ، وقد وصلتنا مئات الاساطير والحكايات عن الحسد وما يفعله في الشخص المحسود ، حتى شاع بين العامة المثل القائل : (عين الحسود لا تسود ) او ( الحسود لا يسود ) أي ان الحاسد لا يكون في يوم ما سيدا على غيره .

وقد كانت الثيمة الرئيسية للقسم الاول من قصة يوسف هو الحسد ، حسد اخوة يوسف ليوسف عندما وجدوا ان اباهم كان يفضله واخيه الصغيرعليهم ، او انه يحبه اكثر منهم ، اضافة – كما يذكر النص التوراتي – الى ان يوسف كانت كل رؤاه في المنام تدل دلالة كاملة على ان مستقبله سيكون افضل منهم ، فسموه صاحب الاحلام.

والحسد يؤدي الى التأثير بالمحسود ، وكان هذا التأثيرقد جاء بصورة مباشرة من خلال التآمر على يوسف ورميه في الجب ، علما ان القرآن الكريم قد وصف موضوعة الحسد في مكان اخر وهو قصة ابناء ادم .

(( واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)). [ مائدة ٢٧ ـ ٣٠]

اذن بني القسم الاول من النص على ثيمة الحسد التي بنيت اساسا على سلوك الاب يعقوب في تفضيله ليوسف واخيه على بقية الاخوة ، فضلا على الرؤيا التي كان يراها يوسف في المنام والتي تنبيء عن مستقبله المتقدم.

***

### ب ـ القائه في الجب:

ان حسد الاخوة لاخيهم يوسف ادى الى التآمر عليه ، فكان ان اختلفوا في كيفة التخلص منه ، ، فقر رأيهم على رميه في الجب بعد ان اشارعليهم قائل منهم ( الاخ الكبير في اكثر التفاسير المتأثرة بالنص التوراتي ) .

((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين )). [ يوسف ٩ -١٠]

فتفضيل الاب ليوسف ادى الى حصول الحسد في نفسية الاخوة ، والحسد هذا ادى الى التآمر على يوسف ، والتآمر هو للخلاص منه بقتله كما رغب الاخوة كلهم عدا الاخ الكبير الذي رآى ان يرموه في الجب دون قتله على امل – كما تذكر بعض المصادر – ان يعود هذا الاخ الى البئر ليخرجه منه .

***

**ج - عبوديته:**

من المحن التي مر بها يوسف هي بيعه في سوق النخاسة كالعبيد ، بعد ان كان في كنف عائلة واب حنون.

(( وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)). [ يوسف: ٢٠ ]

وبهذا الشأن تختلف المصادر التي تتحدث عن يوسف ، فمنها تزعم ان الاخوة قد باعوا يوسف على اصحاب القافلة وهؤلاء باعوه على العزيز ، ومنها من تزعم ان الاخوة لم يفعلوا ذلك ،لان وارد القافلة هو الذي اخرجه من البئر ومن ثم باعه على العزيز ، وهذا هو الرأي الموافق لمضمون النص ، ومهما يكن فقد صار يوسف سلعة تباع وتشترى، أي اصبح رقاً حسب مفهوم ذلك الزمان ، ولنتساءل مع الفخر الرازي هل يمكن لنبي ان يكون رقا يباع في السوق ؟

صحيح ان العزيز قد اوصى زوجته ان تكرم مثواه ، و هذا الاهتمام اذا اخذنا بالمفهوم القرآني وكما يقول المفسرون كان اهتماما الاهياً بيوسف ، أي رأي ميتافيزيقي ، وكأن العزيز كان يعلم بما سيؤول اليه مستقبل يوسف ، لكن الدراسة ترى ان طلب الاهتمام به كان يعود الى شخصية يوسف نفسه ، أي لجمال صورته واكتمال هيئته اولا ، وثانياً، لفقد العزيز للولد كما تخبرنا بعض المصادر ان العزيز كان عقيما.

ومهما يكن فقد اصبح يوسف عبداً في بيت العزيز ، يخدم اهل البيت ، وخاصة زوجة العزيز كأي عبد اخر.

***

**د -دخوله السجن :**

عندما اشيع خبر مراودة زوجة العزيز ليوسف بسبب شغفها حبا به بين نساء الطبقة العليا للمجتمع ، في الوقت الذي كان فيه يوسف بريئا ،اصابت الحيرة العزيز ، فاضطر الى سجن يوسف - تحت الحاح زوجته - لكي تثبت تهمة يوسف امام النساء ، وكانت امنية يوسف هي السجن كي يتخلص من غواية امرأة العزيز .

(( قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين *فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم *ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)) . [يوسف ٣٣- ٣٥]

اذا كان رمي يوسف في البئر قد فتح له افاقا جديدة في الحياة – على الرغم من وقوعه في العبودية – فأن دخوله السجن – على الرغم من تقييد لحريته – كان ان فتح امامه ايضا افاقا في الحياة ، اذ تعرف داخل السجن بساقي الملك الذي بتوصية منه امام الملك ان اطلق سراحه ومن ثم تنصيبه عزيزاً، وهكذا كانت المحن التي يقع فيها يوسف هي التي تفتح له افاقا جديدة في الحياة .

***

**٢- الجنس في قصة يوسف :**

كثيرا ما تحدث القرآن عن الجنس ، واعتبره – في تجلياته غير المحكومة بالشرع الالهي – شر و اثم كبيرين .

واذا نظرنا الى قصة يوسف – بصورة عامة - لوجدناها صراع بين الخير والشر ، وان مسألة الجنس فيها ليست مسألة عابرة ، بل هي جزء مهم من هذا الصراع، وثيمة رئيسية فيه ، ذلك لان الجنس في الادب والاساطير فضلا على ما جاء في الشرائع الدينية – سماوية او وضعية – هو صراع مستمر بين الخير والشر ، فالتوراة على سبيل المثال كدين سماوي يعكس هذه الثيمة على هذا الشكل ، وما قصة شمشون ، وقصة داود واوريا ، وقصة لوط مع ابنتيه او بين قومه،الا مثلا حياً عما نقوله .

يتجسد الخير في يوسف ، فيما يتجسد الشر في زوجة العزيز ،ولا شيء بين هذين الوجهين ، الخير خير والشر شر ، فإما ان ينتصر الشر على الخير كما في قصة شمشون ، وهو مثل توراتي ، واما ان ينتصر الخير على الشر كما في قصة قوم لوط القرانية، وقصة يوسف كذلك .

ولما كانت قصة يوسف احدى قصص القرآن الكريم ، فان الخير هو المنتصر ، هذا يعني ان يوسف قد خرج من هذا الصراع – الامتحان – مبرء، سالماً حسب المفهوم الاسلامي ، وان الله سبحانه وتعالى هو الذي اراد ذلك ، أي ان النصر كان من الخارج ،من قيم غيبية ليس لارادة الانسان أي تدخل فيها ، اما الداخل فأن (النفس امارة بالسوء ) ، وهذا يذكرنا بالبطل الاسطوري – اذا اعتبرنا يوسف بطلا – الذي تأتيه المساعدة من خارج ذاته ، من قوى غيبية، وهذه احدى اسباب النظرالى هذه القصة كأسطورة بالمفهوم الادبي لا الديني.

تروي القصة القرآنية ، ان امرأة العزيز قد هامت ( بفتاها) يوسف ((ولقد همت به)) اما يوسف فقد ((هم بها )) ، ولكي تسقطه في حبائلها اعدت لذلك اسباب السقوط ، فأغلقت ابواب قصرها ،واعدت مكان الممارسة الجنسية: (( وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك )).

هنا يرد سؤال عن تبادل الـ ( هم ) ، فالنص القرآني يذكر صراحة ان الـ ( هم ) كان متبادلا بين زوجة العزيز وبين يوسف ، الا ان بعض المفسرين للقرآن يؤكدون

على ان يوسف لم يهم بها جنسياً بل كان الهم من باب الصد ، أي انه هم بصدها او هم بضربها.

يقول الجصاص:(( قوله تعالى ولقد همت به وهم بها روي عن الحسن به بالعزيمة وهم بها من جهة الشهوة ولم يعزم وقيل هم جميعا بالشهوة ان الهم بالشئ مقاربته من غير مواقعة والدليل على أن هم يوسف بها لم يكن من جهة العزيمة وإنما كان من جهة دواعي الشهوة قوله الله إنه ربي أحسن مثواي وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فكان ذلك إخبارا ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية وقيل إن ذلك على التقديم والتأخير ومعناه لولا أن رأى برهان ربه هم بها وذلك لأن جواب لولا لا يجوز أن يتقدمه لأنهم لا يجيزون أن نقول قد أتيتك لولا زيد وجائز أن يكون على تقديره تقديم لولا )) .(٢)

ويقول الزبيدي عن معنى (هم): (( الهم ( ما هم به في نفسه ) أي نواه وأراده وعزم عليه وسئل ثعلب عن قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه قال همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يات بها ولم يصر عليها فبين الهمين )).(٣)

يقول الشريف المرتضى : (( ... فإن قيل : فهل يسوغ حمل الهم في الآية على العزم والإرادة ؟ ويكون مع ذلك لها وجه صحيح يليق بالنبي ( ع ) ؟ . قلنا : نعم ، متى حملنا الهم ههنا على العزم ، جاز أن نعلقه بغير القبيح ويجعله متناولا لضربها أو دفعها عن نفسه ، كما يقول القائل : قد كنت هممت بفلان ، أي بأن أوقع به ضربا أو مكروها )).(٤)

ومها كان الهم ، فأن حادثة ( هم ) زوجة العزيز جنسياً – وهي المبادرة في ذلك – قد حدث وليس في ذلك ادنى شك .

ومن خلال الدراسات التي تناولت البطل – الشخصة المركزية – الاسطوري ، توصلت هذه الدراسات الى ان المساعدة تأتيه من الخارج ( خاصة من القوى الغيبية ) ،ولا تنبع من داخله ، كالبطل الواقعي ، ولهذا نجد ان يوسف يمتنع عن فعل ما ارادت منه زوجة العزيز، لا لانه رغب في ذلك – كأن يكون لانه ابن نبي ، او ان تربيته العائلية تأمره بذلك ، او لان والده النبي يعقوب قد ظهر له كما يقول بعض المفسرين ، او لخوفه من سيده - بل نجد ان العون يأتيه من خارج ذاته ، من قوة لا يملك دفعاً لها ، انها من الله سبحانه: ((ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )) ، فما هو البرهان الالهي ؟ لم يذكره النص القرآني ، الا ان المفسرين قد غربوا وشرقوا في ذلك.

يقول الطبري : ((حدثني زياد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها ،حدثنا ابن وكيع قال حدثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ولقد همت به وهم بها قال استلقت له وحل ثيابه )) . (٥ )

((وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأولوا القرآن بآرائهم فأنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة فقال بعضهم معناه ولقد همت المرأة بيوسف وهم بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه ويبن به مما أرادته من المكروه لولا أن يوسف رأى برهان

ربه وكفه ذلك عما هم به من أذاها لا أنها محرس من قبل نفسها ،قالوا والشاهد على صحة ذلك قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء قالوا ينحازوا هو ما كان هم به من أذاها الفحشاء ،وقال آخرون منهم معنى الكلام ولقد همت به ، فتناهى الخبر عنها ثم ابتدىء الخبر عن يوسف)). (٦)

وجاء في تفسير الثوري: ((عن بن عباس في قوله همت به وهم بها قال أسلمت له وحل التبان وقعد بين فخذيها فنادى مناد يا يوسف لا تكن كالطاير قال إذا دما ذهب ريشه فلم يعظ عن الندا شيا فنودي الثانية فلم يعظ عن الندا شيا فتمثل له يعقوب فضرب صدره فقام فخرجت الشهوة من أنامله)).(٧)

من اين جاء الثوري بهذا التفسير ، علما ان كتب الاحاديث لم تذكر ان النبي (ص) قد ذكر ذلك ،الا اذا كانت كل هذه المعلومات قد سمعها من محيطه الاجتماعي ، أي ما كان يتداوله العامة من الناس ، أي ما هو اسطوري من النص .

وكذلك القول عما جاء به ابن جرير في تفسيره :

(( حدثنا ابن وكيع ، قال : حد ثنا عمرو بن محمد ، قال : حد ثنا أسباط ، عن السدي : ولقد همت به وهم بها قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك قال : هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك قال : هو للتراب يأكله . فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به وهم بها . فدخلا البيت ، وغلقت الابواب ، وذهب ليحل سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول : يا يوسف تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتد نحو الباب )). (٨)

وهناك اسطورة مصرية – فرعونية ( حكاية الاخوين ) تتناول ثيمة المراودة ، مراودة زوجة الاخ الاكبر لاخيه الاصغر.

وملخص الاسطورة ، ان " انوبو " الاخ الاكبر ، وشقيقه الاصغر" بايتي "،كانا يعيشان سوية في بيت واحد، يعود "بايتي " الى البيت من الحقل ليحضر كيس البذور، وكانت زوجة شقيقه الاكبر الذي كان "بايتي " يعيش معهم في بيتهم ، تمشط شعرها ، وعندما تراه تعجب بقوته وجماله وفتوته، فتغلق ابواب البيت وتراوده عن نفسه ، فيرفض ويهرب ، وعندما يعود الاخ الاكبر تخبره زوجته زاعمة ان شقيقه حاول ان يعتدي عليها، وانه ضربها بعد ان رفضت ، ثم قالت لزوجها يجب ان تقتله ، وعندما عاد " بايتي " بالبقرات من الحقل ، كان شقيقه يختبيء بحضيرة الحيوانات ليقتله ، الا ان البقرات تحذر "بايتي " منه ، فيترك البيت هاربا . ( ٩)

اذا كانت الثيمة الرئيسية للقسم الاول هو الحسد ، فأن الثيمة الرئيسية للقسم الثاني من قصة يوسف، هي المراودة .

***

**٣ – الرؤيا وتفسيرها :**

في دراستنا هذه سوف لا ندخل في متاهات تفسير الاحلام الفرويدي ، او كتب تعبير الرؤيا العربية مثل كتاب تعبير الرؤيا لابن سيرين ، ولكننا سنتابع التفسير الذي جاءت به كتب التفسير التي اخذت من العامة ، او مما كان متداولا بين العامة من تفسير لرؤيا يوسف عن الكواكب ، اما الرؤى الاخرى فقد قدم النص تفسيره او تعبيره لها .

وقد توصلت الدراسات الحديثة الى ان الاحلام ترجع الى احد نوعين ، هما : (( اما شعوري ، وهو ما يشغل النفس من مشاكل في واقع الحياة ، واما لا شعوري ، وهو ما رسب في النفس من رغبات مكبوتة ، فيتخذ العقل الباطن من الاحلام متنفساً لهذا الكبت الذي يقع في اليقظة )) .(١٠)

ولما كان النص الذي بين ايدينا هو نص مقدس ( من القران الكريم )(١١) فأن النص اضاف نوعا ثالثا لهما وهو الرؤيا الصادقة ،وهي اضافة اسلامية ، تتراءى لبعض خلق الله ، وهم الانبياء او الاولياء الصالحين، كما هي الرؤيا التي رآها نبي الله ابراهيم في ذبح ابنه ، والرؤيا التي رآها النبي يوسف والرؤيا التي رآها النبي محمد(ص) قبل معركة بدر وقبل فتح مكة .

هذا النوع من الرؤى هي قراءة للمستقبل و كشف للغيب .

**آ ـ رؤياالقمر والشمس والكواكب:**

((إذ قال يوسف لابيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)).

يمكن القول مع علماء التفسير ، ان هذه الكواكب يمكن تفسيرها بـ :

ـ القمر = الاب .

ـ الشمس = الام ( ان العرب تؤنث الشمس ، وتذكر القمر).

ـ الكواكب = الاخوة .

واذا اردنا ان نتمحل كثيرا مع النص كما تمحل الذين تناولوا القصة ـ المفسرون خاصة- فأن النبي (ص) عندما سئل عن اسماء هذه الكواكب من قبل اليهود ، اجابهم باسمائها : ((أتى النبي ( ص ) رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي ، فقال له : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله ( ص ) ، فلم يجبه بشئ ، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها . قال : فبعث رسول الله ( ص ) إليه ، فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جربان والطارق ، والذيال ، وذو الكتفان ، وقابس ، ووثاب وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح ، وذو القرع، والضياء ، والنور . فقال اليهودي : والله إنها لاسماؤها )).( ١٢)

والكاتب يرى ان هذا الخبر موضوع ، لا لأن الكواكب وقت ذاك غير معروفة لعدم اكتشافها (( ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون )) ، ولا لأن العرب قد عرف اكثر من كوكب وان هذا الذي عرفوه ليس من الكواكب المعنية بشيء لان العرب ذكروا اكثر من هذا العدد لذا فانها ليست هي المعنية، وكذلك فأن العرب لم يذكروا هكذا اسماء ولا ذكرها كتابهم .

ومن الطريف ان نذكر ان الكواكب التي تم اكتشافها حتى الآن هي : عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . وقد اكتشف احد العلماء عام ٢٠٠٥ كوكبا جديدا وهو الكوكب العاشر ، الا انهم في مؤتمرهم عام ٢٠٠٦ اتفقوا على ان بلوتو ليس بكوكب.ونحن في هذه الدراسة غير معنين بأثبات صحة عدد الكواكب او تسمياتها.

الا ان ما يعنينا هنا هو ان الكواكب تعني الاخوة ( حسب ما جاء في النص التوراتي ) وان النص القرآني لم يذكر ذلك .

***

**ب - رؤى السجينين :**

(( ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)). [ يوسف: ٣٦ ]

(( يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان)). [ يوسف: ٤١ ]

ا- عاصر الخمر= متابعته لعمله السابق (سقي الخمر).

ب – حامل الخبز الذي تأكل منه الطير= الصلب.

يهيء هذا الحلم وتعبير يوسف الى ان يكون يوسف مذكورا امام الملك ، اذ انه كان غيرمعروف في بلاط الملك، حتى راح بعض مفسري النص الى القول ان الله – وهو من القوى الغيبية في أي نص اسطوري – هو الذي رتب ان يكون مع يوسف هذين السجينين ، وان يكونا من خاصة الملك ، وزاد البعض من المفسرين الى ان هناك اتفاق بين السجينين لان يختبرا يوسف بتعبير الرؤى ، وانهما لم يريا أية رؤيا ، وانما احتالا عليه ، حتى اذا قام يوسف بتعبير رؤاهم ، اخبروه انهم لم يريا اية رؤيا ، عندها قال لهما : ((قضي الامر الذي فيه تستفتيان)).

(( وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لا يخلو من اشعار بان الصاحبين او احدهما كذب نفسه في دعواه الرؤيا ولعله الثانى لما سمع تأويل رؤياه بالصلب واكل الطير من رأسه ويتأيد بهذا ما ورد من الرواية من طرق ائمة اهل البيت ( ع ) ان الثانى من الصاحبين قال له انى كذبت فيما قصصت عليك من الرؤيا فقال ( ع ) قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى ان التاويل الذى استفتيتما فيه مقضى مقطوع لا مناص عنه )) . (١٣)

وجاء في تاريخ الطبري: (( عن عبد الله في الفتن اللذين أتيا يوسف في الرؤيا انما كانا تحالما ليختبراه فلما أول رؤياهما قالا : انما كنا نلعب فقال : ( قضي الامر الذي فيه تستفتيان ) ... )). (١٤)

(( وقال الآخر ( اني أرانى احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ) ولم يكن رأى ذلك فقال له يوسف انت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطير من دماغك ، فجحد الرجل وقال اني لم أر ذلك ))(١٥).

(( و " اما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه " فروي ان صاحب الصلب ، قال ما رأيت شيئا ، فقال له قضي الامر الذي فيه تستفتيان )).(١٦)

(( وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لا يخلو من اشعار بان الصاحبين أو احدهما كذب نفسه في دعواه الرؤيا ولعله الثاني لما سمع تأويل رؤياه بالصلب واكل الطير من رأسه ويتايد بهذا ما ورد من الرواية من طرق ائمة اهل البيت ( ع ) ان الثاني من الصاحبين قال له انى كذبت فيما قصصت عليك من الرؤيا فقال ( ع ) قضى الامر الذى فيه تستفتيان أي ان التأويل الذى استفتيتما فيه مقضى مقطوع لا مناص عنه )) . (١٧)

(( قالا : ما رأينا شيئا ، إنما كنا نلعب قال : قضي الامر الذي فيه تستفتيان )). (١٨)

(( لما قالا ما قالا وأخبرهما قالا ما رأينا شيئا )) . (١٩)

من المسكوت عنه في النص – اسطوري وقرآني وتوراتي – هو لماذا صلب الخباز ؟

وألا يكفي ان يدخل معه السجن سجين واحد ليعرف قدرة يوسف على التأويل وليخبر الملك ؟ اذ ظل السجين الاخر لا فائدة منه.

***

**ج - رؤيا الملك :**

((وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون* قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون *يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون *قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)) . [ يوسف ٤٣-٤٩]

وكان تعبير يوسف من خلال فك رموز الرؤيا بعد ان اعتذر مفسروا الاحلام والمنجمين من تعبيرها ، كما يلي :

- بقرات سمان = سنين خير.
- بقرات عجاف = سنين مجاعة.
- سنبلات خضر = مؤنة كثيرة .
- سنبلات يابسات = مؤنة قليلة او معدومة.

ويذكرنا هذا الحلم الفرعوني بأسطورة جلجامش الرافدينية حيث تمر سبع سنوات مجاعة تستعد لها الالهة عشتار .

***

**٤ - رمزية القميص :**

ما نقصده بالرمز هنا هو ما ترسخ في الوجدان الجمعي من دلالات معرفية عن حدوث شيء ما. فليس القميص الذي نحن بصدد الحديث عنه هو المعني بالرمزية التي نعني ، وانما هو العلامات التي يحملها والتي تحمل معها دلالات تعرف الناس عليها .

وقد بين اكثر النقاد في النقد الحديث ان : العلامة Signal والأمارة Indice والرمز Symbile والمثال Allègorie هي مصطلحات متقاربة ، وقد صرّح رولان بارت بأن: (( العلامة حدث مدرك مباشرة يعلمنا بشيء ما عن حدث آخر، غير مدرك مباشرة)). (٢٠)

و قد استخدم هذا القميص ثلاث مرات في النص وبرمزية ذات قيمة عليا ، وهو يحمل علامته في كل مرة ، وقد تجلت هذه الرمزية بصور ثلاث ، و اعطت دلالاتها المرجوة منها ، وهي :

**آ– القميص الملطخ بدم كذب:**

(( وجاءوا على قميصه بدم كذب )) . ( يوسف: ١٨ )

فالقميص هنا ليس هو المعني ، ولكن ما حدث فيه هو الذي يعنينا هنا ، وهو الدم. فالدم هو اشارة ترمز لشيء مذبوح = مقتول ، اذن فالقميص يحمل الاشارة الدالة على القتل ، وعلى الافتراس بقرينة ما ادعاه الاخوة .

والذي تعارف عليه الوجدان الجمعي هو ان كل: ثوب + دم + اداة القتل= الافتراس ( الذئب) = الموت .

الا ان الاب في هذا النص – كما تخبرنا النصوص التي حايثت النص القرآني عند المفسرين – عرف الادعاء الكاذب بأكل ابنه ، بعد ان رأى القميص غير ممزق ، والذئب عندما يفترس الفريسة - الانسان خاصة - يتمزق ما يلبسه من ملابس، لهذا نراه يقول لهم : (( قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون )).

اذن كان الادعاء كاذبا ، وكان الفعل فعلهم .

(( حدثني عبيد الله بن أبي زياد قال حدثنا عثمان بن عمرو قال حدثنا قرة عن الحسن قال جيء بقميص يوسف إلى يعقوب فجعل ينظر إليه فيرى أثر الدم ولا يرى فيه خرقا قال يا بني ما كنت أعهد الذئب حليما )).(٢١)

أي لو كان الذئب هو المفترس لمزق القميص .

وكان هذا القميص هو الذي سبب العمى ليعقوب ، كما كان مرة اخرى في اعادة البصر .

***

**ب- القميص الذي قد من دبر :**

((واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين *فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)) . [ يوسف٢٥- ٢٨ ]

يعتبر هذا القميص هو الدليل الجرمي الوحيد على جريمة المراودة التي قامت بها امرأة العزيز، وعلى صدق قول يوسف ان الذي قام بالمراودة هي وليس هو.

اذ ان القميص يحمل دلالته ، وهذه الدلالة هو ما فيه من اثار التمزق من الخلف ، وهذا يعني ان الذي مزق القميص كان يقف خلف مرتديه .

يرسم لنا ابن كثير في تفسيره اول تحقيق يقوم على اسس علمية قام به شخص ما لتبيان الحقيقة التي حاولت المذنبة تغييبها عن وجه العدالة :

(( وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل أي من قدامه فصدقت أي في قولها إنه راودها على نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه)) . ( ٢٢ )

***

**ج ـ القميص الذي اعاد البصر ليعقوب:**

من المعروف ان الرائحة الخاصة بالشخص تبقى في ملابسه ، وقميص يوسف على الرغم من تغيره فهو يحمل رائحة جسده ، ولهذا استفاد النص من هذه الثيمة المعرفية في اعادة البصر للاب حسب ما كان يتصوره التفكير الجمعي . (٢٣)

((اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين)) [ يوسف ٩٣ ]

والجدير بالذكر ان القميص هو ليوسف رغم تغيره ، أي ان هناك ثلاثة قمصان ، الا انها تعود لشخص واحد ، وهذه القمصان حملت علامات لاشياء : الدم ، التمزق ، الرائحة ، ورمزت الى ثلاثة حوادث، هي :كذب اتهام الاخوة للذئب ، وليست المراودة من يوسف ، ورد البصر للاب .

***

**٥ ـ الحيلة والمكيدة :**

يذكر النص القرآني اربعة حيل قامت بها الشخصيات للايقاع بالآخر ، ويمكن اجمالها بـ :

آ ـ الاخوة يحتالون على ابيهم ليسمح لهم بمرافقة اخيهم يوسف ليكيدوا به .

((قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون * ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون)).

ب ـ تحتال زوجة العزيز على يوسف بغلق الابواب لتكيد به جنسيا .

((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)).

ج ـ حيلة زوجة العزيز لاحضار النساء الى بيتها ليريا يوسف وذلك بأقامة المأدبة لهن.

(( وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين* فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين )).

د ـ بحيلة اخرى يأمر يوسف جماعته بدس بضاعة الاخوة التي جاؤا بها في حمولتهم ليغريهم بالعودة مرة اخرى .

((وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون )).

هـ - وبحيلة السرقة يحتفظ يوسف بأخيه عنده .

((فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم )).

هكذا نرى ان النص مليء بالحيل والمكائد المسببة للفعل ، الكل يكيد ، والكل يحتال .

**الهوامش :**

١ – يقول الجاحظ في فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود: (( تسألني عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دليله و أفعاله؟ وكيف تعرف أموره وأحواله، وبم يعرف ظاهره ومكتومه، وكيف يعلم مجهوله ومعلومه، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء؟ وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟ وكيف خص به الجيران من بين أهل جميع الأوطان.

والحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر. وهو باب غامض وأمر متعذر، وما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فمداويه في عناء. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء". وقال بعض الناس لجلسائه: أي الناس أقل غفلة؟ فقال بعضهم: صاحب ليل، إنما همه أن يصبح. فقال: إنه لكذا وليس كذا. وقال بعضهم: المسافر، إنما همه أن يقطع سفره. فقال: إنه لكذا وليس كذا. فقالوا له: فأخبرنا بأقل الناس غفلة. فقال: الحاسد، إنما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها، فلا يغفل أبداً (...) والحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق، وحرب البيان. فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال: "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم". منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء، يكمن في الصدركمون النار في الحجر. ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووسواس ضميره، وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه، إلا استصغاره نعمة الله عليه، وسخطه على سيده بما أفاد غيره. وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إياه، وأن لا يرزق أحداً سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوماً، وكان لديهم في القياس مظلوماً. وقد قال بعض الأعراب: "ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم". والحاسد مخذول وموزور، والمحسود محبوب ومنصور. والحاسد مغموم ومهجور، والمحسود مغشي ومزور.

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول معصية حدثت في الأرض، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه، وقايسه في خلقه، واستكبر عليه فقال: "خلقتني من نار وخلقته من طين"، فلعنه وجعله إبليساً، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيساً، وشوه خلقه تشويهاً، وموه على نبيه تمويهاً نسي به عزم ربه، فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى، ومضى اللعين الحاسد في حسده فشقي وغوى.

وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه. وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، فأنساه من رحمه جميع الحقوق، إذ ألقى الحجر عليه شادخاً وأصبح عليه نادماً صارخاً. ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبخه على المال فيقول: جمعه حراماً ومنعه أثاماً. وألب عليه محاويج أقاربه

فتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على"خلقتني من نار وخلقته من طين"، فلعنه وجعله إبليساً، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيساً، وشوه خلقه تشويهاً، وموه على نبيه تمويهاً نسي به عزم ربه، فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى، ومضى اللعين الحاسد في حسده فشقي وغوى. وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأثكل أباه. وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، فأنساه من رحمه جميع الحقوق، إذ ألقى الحجر عليه شادخاً وأصبح عليه نادماً صارخاً. ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبخه على المال فيقول: جمعه حراماً ومنعه أثاماً. وألب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود علىقطيعتهم في الظاهر وقال له: لقد كفروا معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون، فإنهم لا يشكرون. وإن وجد له خصماً أعانه عليه ظلماً، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه إلى نصر خذله، وإن حضر مدحه ذمه وإن سئل عنه همزه، وإن كانت عنده شهادة كتمها، وإن كانت منه إليه زلة عظمها، وقال: إنه يحب أن يعاد ولا يعود، ويرى عليه العقود. وإن كان المحسود عالماً قال: مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل ومبتغي نيل، لا يدري ما حمل، قد ترك العمل، وأقبل على الحيل. قد أقبل بوجوه الناس إليه، وما أحمقهم إذ انثالوا عليه. فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعته، وأسوأ طعمته)). انظر : الرسائل- الجاحظ.قرص الشعر

٢ - أحكام القرآن - الجصاص -ج ٣ ص ٢٢٠ .

٣ - تاج العروس - الزبيدي- ج ٩ ص ١٠٩ .

٤- تنزيه الانبياء - الشريف المرتضى - ص ٧٥ - برنامج المعجم العقائدي - الاصدار الأول.

٥ - تفسير الطبري: ١٢ – ١٨٤ .

٦ - تفسير الطبري:١٢ – ١٨٥ .

٧ - تفسير الثوري- سفيان الثوري ص ١٤٠ .

٨ - جامع البيان - ج ٢١ ص ٢٣٩ .

٩ - ملخص من- اساطير من الشرق – سليمان مظهر – الكتاب الماسي –الدار القومية للطباعة والنشر – ب . ت .

١٠- مجلة المورد – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الرؤيا في القران الكريم – عبد الجبار محمود السامرائي – ١٠ .

١١ - لان النص المتداول قبل الاسلام لم يصل الينا ، أي كان هناك نصا متداولا بين العامة ، والا كيف يكون نصا توراتيا دون ان يتداوله العامة من الناس ؟

١٢ - جامع البيان - إبن جرير الطبري ج ٢١ ص ١٩٧ . وكذلك : قصص الانبياء – الجزائري – ٢٠١ .

١٣ - برنامج المعجم العقائدي - الاصدار الأول - مركز المصطفى (ص) ص ٨ .

١٤- تاريخ الطبري- ج ١ ص ٣٤٣ - مركز المصطفى (ص) ص ٣٧٥ .

١٥ - تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ج ١ ص ٣٤٤ .

١٦- التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ١٤٣ .
١٧ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ١١ ص ١٨٠ .
١٨ - جامع البيان - إبن جرير الطبري ج ٢١ ص ٢٨٥ .
١٩- تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٦ .
٢٠ - مصطلحات النقد العربي السيماوي - الإشكالية والأصول والامتداد - ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤- الدكتور مولاي على بوخاتم : ص ١٦٩ .
٢١- الطبري ١٢ – ١٦٤ .
٢٢- تفسير ابن كثير – ج٢ ص ٤٧٦ - المكتبة الالفية.
٢٣- قال صاحب الكشكول : (( من كلام بعض أصحاب القلوب: إنما بعث يوسف على نبينا وعليه السلام قميصه من مصر إلى أبيه، لأنه كان سبب ابتداء حزنه لما جاءوا به جاءوا به ملطخاً بالدم، فأحب يوسف أن يكون فرحه من حيث كان حزنه)).انظر : الكشكول - بهاء الدين العاملي. قرص الشعر

# تجليات السرد في قصة يوسف

السرد في أصل اللغة العربية هو: (( تقدمة شئ إلى شئ تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا . سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه . وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له . وفي صفة كلامه ، صلى الله عليه وسلم : لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه )). (١)

و هو : (( جودة سياق الحديث ، يقال سردت الحديث من باب قتل أتيت به على الولاء . ومنه " فلان يسرد الحديث سردا " إذا كان جيد السياق له )).(٢)

ويقول د . عبد الملك مرتاض :ان السرد في الادب الحديث هو : ((التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي، ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ماخالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم وأشمل، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته. فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي. فكان السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي. وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل معظم المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً)).(٣)

يعتمد بناء السرد في نصنا المدروس على تقنية السرد المتتابع الذي يعتمد على انسيابية الزمن كالنهر جارياً لا يوقفه شيء ، وقد اعتمد الزمن الماضي وصيغته الفعلية في اكثر مواضع النص .

اضافة الى كل هذا ، فقد كان من مواصفات هذا النوع من السرد هو التوقف والانتقال بالمكان مع استمرارية انسياب الزمان .

كذلك ، فأن من صفات السرد المتتابع في نصنا المدروس - كالكثير من النصوص الادبية والحكائية والاسطورية التي سبقته وجايلته والتي جاءت من بعده - هو اشتماله على ما يسمى بالفجوة ، او الاضمار ، والاستباق.

**١ - الاضمار :**

هو (( الجزء المسقط من الحكاية أي المقطع المسقط في النص من زمن الحكاية )) (٤) ، والامثلة كثيرة على ذلك .

ومن المعروف ان الاضمار الذي يأتي في السرد مرده الى ان هناك حوادث غير معني بذكرها النص ، اما لاسباب آنية ، او لاسباب موضوعية ، فيقوم النص بعدم ذكرها.

ويأتي الاضمار داخل السرد كميزة فنية له غايتها وهي الاقتصاد بالسرد ، ومن ثم يدفع بالقاريء الى المشاركة في انتاج نصه من خلال ملأ الفجوات.

وقد استخدم الاضمار كأداة فنية من داخل السرد في الكتابات السردية وكذلك الاخبارية القديمة ، منذ ان كتبت ملحمة جلجامش الى يومنا هذا ، الا انها لم تعرف كتقنية فنية في السرد وان توضع لها مقوماتها الا في اواسط القرن العشرين .

وقد انتبه الكتاب العرب القدامى الى هذه التقنية وجعلوها وجه من وجوه الايجاز ، و ميزة عليا للبلاغة العربية .

يقول عبد القاهر الجرجاني : ((يكون ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الفائدة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا ما لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن)) .(٥)

ومن الامثلة على ذلك :

آ– الفترة الزمنية التي فصلت بين نصيحة الاب يعقوب لابنه يوسف و بين المكيدة التي حاكها له اخوته .

اذ لم يذكر لنا النص ، هل ان الاخوة قد طلبوا من ابيهم ان يأخذوا معهم يوسف بعد ان رآى يوسف حلمه ، ام ان ذلك قد تم بعد فترة زمنية ؟ وهل هذه الفترة طويلة كانت ام قصيرة ؟ وما هي الاحداث التي وقعت خلالها ؟ اسئلة كثيرة لم يجب عنها النص .

ب – الفترة الزمنية التي فصلت بين ايجاد يوسف في الجب و بين بيعه بثمن بخس .

في هذه الفترة يتم فيها انتقال على المستوى الزمان وعلى مستوى المكان ، أي هناك قطع زمني ، وهو الزمن الذي قطعته القافلة من مكان البئر الى مصر ومن ثم بيعه ، فنحن لا نعرف طول تلك الفترة ، وكذلك كان الانتقال في المكان بين مكان البئر ومصر .

ج –الفترة الزمنية التي فصلت بين شراء يوسف من قبل العزيز وبين مراودة امراة العزيز . ((ولما بلغ أشده .... وراودته )).

كم من الوقت مر حتى بلغ اشده ، وكم من الوقت حتى راودته امرأة العزيز ؟

د - الفترة الزمنية التي فصلت بين المراودة وبين اعداد المجلس للنسوة .

هـ - الفترة الزمنية التي فصلت بين خروج الفتيان من السجن و تذكر احدهما ( وادكر بعد امة ) يوسف في السجن بعد حلم الملك .

اذ تعني (بعد امة) ، بعد فترة زمنية غير معروفة ، ويذكر النص هذه الفترة بـ (بضع سنين) والبضع لا نعرف بالضبط مدتها .

و - الفترة الزمنية التي قضاها يوسف كمسؤل عن خزائن الملك ( اكثر من سبع سنوات خيرات ) حتى مجيء اخوته للميرة .

ز - الفترة الزمنية التي فصلت بين اعطاء يوسف القميص وبين ان (ولما فصلت العير).

وهناك الكثير من الاضمارات التي تركنا تسجيلها لعدم الاطالة .

***

**٢ – الاستباق :**

يعرفه (جينات) بأنه : ((عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً)). (٦)

نجد أن النص وهو يتعامل مع الزمن، يستخدم عملية الاستباق اكثر من مرة في نصنا المدروس ، منها :

آ – نصيحة الاب يعقوب لابنه يوسف ان لا يقصص رؤياه خوفا من ان يكيد له اخوته ، وهو الكيد الذي بني عليه القسم الاول من قصة يوسف .

ب – تآمر الاخوة لقتل يوسف ، أي الاتفاق الذي سبق عملية الرمي في البئر، اي انهم اتفقوا مسبقاً على قتل (او رمي ) يوسف في البئر.
ج– خوف الاب من اكل الذئب ليوسف، (( قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)) ، أي انه عرف مسبقا ان هناك ما يدبر ضد يوسف ، قد استبق الحدث قبل وقوعه .
د– رؤيا الفتيان، وما آل تعبيريوسف لها من امور قد حدثت فعلاً .
هـ - رؤيا الملك ،وما آل تعبيريوسف لها من امور قد حدثت فعلاً.
و- ما قاله الاخوة لاخيهم يوسف، عندما طلب منهم ان يأتوا بأخيهم الصغير ، قالوا له: ((سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون )) .
ز – وصية الاخ الاكبر لاخوته ان يخيروا ابيهم بسرقة اخيهم :(( ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب )).
وهكذا نرى النص المدروس قد استفاد كثيرا من هذه التقنية السردية التي لم تكن قد قننت سابقا ، وانما وضعت لها مقوماتها في منتصف القرن الماضي .
وهذه التقنية ذات فائدة كبيرة لعملية السرد ، وتقديم احداثه ، اذ يمكن من خلالها ان يكسر الراوي ( او منشأ النص) رتابة التتابع الزمني على وتيرة واحدة، مما يصيب القاريء ( المستقبل ) الملل والكسل في متابعة القراءة ، اضافة لكون هذه التقنية السردية حلية جمالية وفنية للنص .

***

**٣ – الاسترجاع :**

الاسترجاع أو ما يسمى بـ (اللواحق) (٧) وهو –كما يقول- (جينات) (عملية سردية تمثل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد)(٨).
وتقسِم الدراسات الحديثة زمن الاسترجاع إلى ثلاثة أقسام هي:(٩)
**أ- استرجاع خارجي:** يعود إلى ما قبل بداية النص.
**ب- استرجاع داخلي:** يعود إلى ماض لاحق لبداية حدث ما قد تأخر تقديمه في النص .
**ت- استرجاع مزجي:** وهو ما يجمع بين النوعين .
الاسترجاع أو ما يسمى (بالارتداد) مصطلح يراد به عودة السارد إلى سرد بعض الأحداث الماضية بعد أن يوقف السرد عند نقطة معينة،أي أن زمن السرد هنا يتشظى إلى مجموعة من الشظايا الزمنية تفترق في البداية لتجتمع أخيراً.(١٠)
ولو عدنا الى نصنا المدروس لوجدناه يستخدم مرة واحدة النوع الاول من الاسترجاع ، اذ يعود الى حدث قد وقع قبل بداية الحكي للنص ، وهذا الحدث على الرغم من ان النص لم يوضحه بصورة دقيقة الا انه يذكر ما يدل على وقوعه .
(( قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون )).
من ضمن الاضافات التي قام بها المفسرون تحت تأثير التوراة،او ما كان متداولا بين العامة ، هو ان يوسف قد تربى في كنف عمته او خالته ولما اراد والده استرجاعه قامت هذه السيدة بأخفاء منطقتها تحت ثياب يوسف لتتهمه امام والده انه

قد سرقها منها ، وكانت عقوبة السارق في عرف ذلك المجتمع ان يبقى السارق في كنف المسروق منه ليخدمه ، وهكذا اتهم يوسف من قبل اخوته بالسرقة .

**الهوامش :**

١ - لسان العرب - ابن منظور: ج ٣ ص ٢١١ - برنامج المعجم - الاصدار الثالث .

٢ - مجمع البحرين - الشيخ الطريحي: ج ٢ ص ٣٦٠ . برنامج المعجم - الاصدار الثالث .

٣ - ألف ليلة وليلة –د. عبد الملك مرتاض – دار الشؤون الثقافية العامة - ص١٠٣ .

٤ - مدخل الى نظرية القصة- ص ٨٩ .

٥ - *عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح:محمد عبد المنعم خفجي، - مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة - ط١ - ١٩٦٩ - ص ١٧٠ .*

٦ - -سمير المرزوقي- ص٧٦ .

٧ - سمير المرزوقي- ص ٧٦ .

٨ - سمير المرزوقي- ص ٧٦ .

٩ - سمير المرزوقي- ص ٧٦ .

١٠ – انظر كتابنا : الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية .

## مورفولوجيا الزمن في قصة يوسف

للزمن دور كبير في عملية السرد ، إذ يمنح النص المدروس طاقة كبيرة لجعل قارئه يشارك في انتاجه مجدداً.

وقد وصفت الدراسات النقدية الحديثة دور الزمن في عملية السرد ، وقننت فاعليته في عملية بناء السرد من خلال عناصر واضحة للقاريء والدارس على السواء.

الا اننا نجد النص خال من بعض عناصر الزمن من مثل : الوقفة التي ترسم صورة لما يقوم بها الوصف .

**١ – صيغ الزمن:**

للزمن باللغة العربية صيغ ثلاث هي : الماضي والمستقبل وما بينهما الزمن الحاضر .

وقد استعمل النص الذي بين يدينا صيغة واحدة هي صيغة الماضي ، اذ ان احداث النص تنقل عن الماضي وبصيغة الماضي ، عن حدث قد تم وقوعه.

على الرغم من الصيغة التي استخدمها النص (الماضي ) الا انه كباقي السرديات استخدم بعض العناصر الزمنية التي اخترقت هذه الصيغة لكسر حدة بقاء النص ينقل عن الماضي فقط ، وهذه العناصر لا يمكن عدها كصيغ زمنية وانماهي مجموعة من الأحداث الأخرى التي تقطع تسلسل الزمن الماضي لتعود به إلى زمن ماض آخر، أما أن يكون قد وقع قبل أحداث الحكاية نفسها أو قبل اللحظة التي تصلها الأحداث المروية، بهذا نرى أن الماضي في النص يأخذ له صيغ متعددة، فهو ماض بعيد سحيق يتخلله ماض قريب.

وقد استعمل النص الفعل الماضي ( قال ، قالوا اوجاءوا او جاءت او راودته...الخ) ، ليؤكد على ان النص قد حدث قبل الآن ،اما الافعال التي تنبيء عن صيغ اخرى للفعل، من مثل : ( اقتلوا أو اطرحوه اوألقوه اوارسله او أعرض او اجعلني...الخ )، او: ( يحزنني، تأكل...الخ)،فانها جاءت اما لكونها تنقل حوارا كما قيل وقتذاك ، او من باب تقديم التعليمات عما يجب فعله ((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)) ، او انها جاءت لتكسر حدة الفعل الماضي المهيمن على السرد .

***

**٢ ـ التزامن :**

وهو : (( مصطلح يطلق على وقوع حدثين أو أكثر في آن واحد، وفي أماكن مختلفة، إن وقوع حدثين أو حدوث أشياء ما في وقت واحد يمكن الإقرار به في الواقع، ولكنه يستحيل الأخبار بهما في وقت واحد إذ لا يمكن للمخبر أياً كان، الإخبار بهما في آن واحد وبلسان واحد، وإنما يعمد إلى الإخبار بهما بالتسلسل مع اختيار الخبر أو الحدث الواجب ذكره أولاً)).(١)

وقد جاء التزامن في زمنيةالنص في عدة مواضع من النص ، مثل :
١ – في الوقت الذي عاد فيه الاخوة ليخبروا والدهم ،اتت القافلة :(( وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون )).
٢ – في الوقت الذي كانت زوجة العزيز عاشقة له ،هائمة بحبه ، كان يوسف في الوقت نفسه يشاطرها هذه ( الهم ) ، ان كان بوعي منه لعشقها اياه او لم يكن : ((ولقد همت به وهم بها)).
٣ – وقوع حدث الرؤيا لحلمي السجينان في زمن واحد:: ((قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله)).
٤ – في الوقت الذي كان يوسف يطلب من اخوته ان يأتوا بأخيهم ، كان فتيانه يضعون بضاعة الاخوة في رحالهم : ((ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين * فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون * وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون )).
ورب سائل يسأل : ان النص القرآني يذكر: انه قال لفتيانه ذلك بعد ان طلب من اخوته ان يأتوا بأخيهم ، ولم يكن هناك تزامنا . هذا صحيح لو قبلنا معاني ظاهرالنص ، ولو تجاوزنا بلاغة النص القرأني ، وكيف قدم القصة ، وكيف استخدم النص لفظة ( قال لفتيانه ) ، وكان يريد ان يقول: (( انه اتفق مع فتيانه ان يضعوا البضاعة في الرحل ، وقال لهم ...)). لانه ليس من المعقول ان ينهي طلبه منهم ليخرجوا ، ثم يوصي فتيانه بذلك ، بل ان وضع البضاعة قد تم اثناء كلامه مع اخوته ، دون ان يعرفوا ذلك.

***

**٣ ـ المجمل:**

أو ما يسمى بالملخص، حيث تكون فيه مساحة النص أو زمنه أصغر من سرعة الحدث أو زمن ((المتن)) ((زن < زح)) أو ((مساحة النص < سرعة الحدث)) وهو ((سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من حياة شخصية بدون تفصيل للأفعال أو الأقوال وذلك في بضعة أسطر أو فقرات قليلة)) كما يقول سمير المرزوقي، حيث يتم المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف إنها جديرة باهتمام القارئ كما تذكر سيزا قاسم.(٢)
وهناك الكثير من الامثلة على المجمل ، منها :
١ – بين تآمرالاخوة وبين طلبهم من ابيهم ان يسمح ليوسف يالذهاب معهم : (( قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين * قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون)).
٢ – بين موافقة والدهم على ذهاب يوسف معهم وبين اصطحابه في اليوم الثاني . (( ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون)).
٣ – بين رميه في الجب وعودتهم لاخبار والدهم : ((وجاءوا أباهم عشاء يبكون)).

٤ - بين اخراج يوسف من الجب والوصول الى سوق النخاسة في مصر وشراء العزيز ليوسف ومن ثم المجيء به الى بيته : (( وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين *وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا )).
٥ - بين شراء يوسف وبلوغ اشده فترة زمنية طويلة غير معلومة : ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين )) .
٦ – بين بلوغ اشده والمراودة : (( ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين *وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون)).
٧ – بين المراودة وشيوع خبرها بين النسوة : (( وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين)).
٨ – بين دعاؤه لربه ان يزج في السجن هروبا من كيد زوجة العزيز ودخوله السجن: (( قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم)).
٩ – بين وصية يوسف السجين ان يذكره عند سيده ، وتذكره للوصية بعد حين (بضع سنين): ((وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين)).
١٠ – بين طلب الساقي ان يرسلوه الى يوسف ووصوله السجن لسؤال يوسف : (( وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا)).
١١ – بين ان كان يعقوب يوصي ابنائه علىان يدخلوا من ابواب متعددة وبين تنفيذهم لتلك الوصيه :(( وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).
١٢ – بين دخولهم مصر وبين تجهيزهم بالمؤونة : ((ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم... )).
١٣ – بين وجودهم مع يوسف ووصولهم الى ابيهم :((قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم إني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون * قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)).
١٤ – بين وجودهم مع ابيهم ودخولهم على يوسف :((قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم * فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين * ورفع أبويه على

العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)).

***

**٤- المشهد:**

النص الذي بين يدينا حاله حال السرديات الأخرى – القديمة منها أو الحديثة- يقوم بناؤه السردي على تقسيم داخلي بيّن، خاصة بما يتعلق بالزمن، أي تتداخل فيه مجموعة من ((المشاهد)) ذات المساحة النصية الطويلة المعادلة للزمن الداخلي والتي هي بالعكس من ((التلخيصات)).

والمشهد هو وحدة سردية رئيسية مهمة في السرد الحكائي، يقول ((لوبوك)): ((يعطي المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الحارة في الفعل إذ أنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط وفي نفس لحظة وقوعه، لا يفصل بين الفعل وسماعه، سوى البرهة التي يستغرقها صوت الراوي في قوله لذلك يستخدم المشهد للحظات المشحونة.. ويقدم الراوي دائماً ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد)).(٣)

إن الأحداث والوقائع الهامة، يصاحبها ((تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية ويطابقه تماماً في بعض الأحيان فيقع استعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب)).(٤)

وإذ ينطبق هذا القول على السرديات الحديثة، فإنه ينطبق –أيضاً- على السرديات الشفاهية، والشفاهية المدونة مثل النص الذي نحن بصدد دراسته، إذ يقترب حجم الحكاية (المبنى الحكائي) من حجم (القصة) (المتن الحكائي) في المشاهد خاصة.

وكما الامثلة التي اوردناها عند دراستنا للحوار ، فأن النص في مجمله قد بني على الحوار، من مثل :

ما ذكّر يوسف والده عندما التقى به في مصربرؤياه :

(( وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم )).

و :(( قال يوسف لابيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .

قال الاب محذرا : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا)).

او : (( قول زوجة العزيز : ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟

قال الزوج : يسجن أو يعذب عذابا أليما .

الا ان يوسف رد مدافعا عن نفسه : هي راودتني عن نفسي. ))...الخ.

***

**٥- إيقاع الزمن:**

يسمي (جيرار جينات) العلاقة بين الزمن الروائي (داخل المبنى الحكائي) والمقاطع النصية التي تغطي هذه الفترة بـ (سرعة النص) (٥) أي أن السرعة هذه هي النسبة بين:

زمن الحدث (ساعة، يوم، سنة)

=----------

طول النص (أسطر، مقاطع)

ومن الجدير بالذكر أن أهم معوق أمام دارس الزمن هو أن السارد او الراوي لا يذكر الوقت الطبيعي لبداية ونهاية وقوع الأحداث ليتمكن من تطبيق المعادلة أعلاه تطبيقاً صحيحاً بحيث تأتي النتائج صحيحة، لهذا يعمد الدارسون إلى تقدير الزمن تقديراً نسبياً.

إن الزمن الذي يستغرق لقراءة أحداث النص هو (؟) دقيقة ، فيما الزمن الكلي للاحداث كما حدثت في الواقع هي اكثر من (٢٢) سنه كما تذكر بعض المصادر .

إن أحداث النص تمتد على مساحة طباعية مقدارها ((٩٤)) سطراً(٦)، وفي الوقت نفسه، فإن الزمن الداخلي للأحداث يساوي ((٢٢)) سنة تقريباً بكل ما اعتور زمن النص من توقفات، اذا اعتمدنا على ما جاء في النص التوراتي ان عمر يوسف عند بدء الاحداث كان (١٧)عاما ، فيما اجتمع يوسف بوالديه – حسب النص الاسطوري- بعمر (٣٩)عاما ، فيكون عند ذلك ايقاع الزمن :

زمن الحدث (ساعة، يوم، سنة)

=----------

طول النص (أسطر، مقاطع)

٢٢ سنة × ٣٦٥ يوما

= ----------

٩٤ سطرا

٨٠٣٠ يوما

= ----------= ٤ر٨٥ يوما لكل سطر

٩٤

هذا يعني ان ايقاع الزمن كان سريعا جدا ، وهذا متأت من الغاية من ورود النص في القرآن الكريم ، أي ان النص لم يكن تاريخا يروي الاحداث كما حدثت في الواقع، وانما جاء للعبرة من وقوعها، ولتعطي دروس في الطباع الانسانية، ان كان ذلك عند نبي كما صبر يعقوب الاب، اوعند ولي صالح كالصبر والهم بالمراودة عند يوسف، او الحسد كما عند الاخوة ، او العشق والمراودة والهم بالوقوع بالفاحشة كما عند زوجة العزيز .

ان مرد هذه السرعة الفائقة للنص هو كثرة وطول الاضمارات ( أي الفترات الزمنية المحذوفة من النص ) من مثل :

آ- الفترة الزمنية التي فصلت بين ايجاد يوسف في الجب و بين بيعه بثمن بخس.

ب - الفترة الزمنية التي فصلت بين شراء يوسف من قبل العزيز وبين مراودة امراة العزيز.

ج - الفترة الزمنية التي فصلت بين خروج الفتيان من السجن و تذكر احدهما يوسف في السجن بعد حلم الملك .

د - الفترة الزمنية التي قضاها يوسف كمسؤل عن خزائن الملك ( اكثر من سبع سنوات ) حتى مجيء اخوته للميرة .

وهكذا نستخلص مما سبق أن إيقاع الزمن في هذا النص كان متذبذباً، وهذا التذبذب يعود إلى كون النص كان - كحال الأدب الشفاهي - يطوي الزمن في بعض الأحيان و يمدده في أحيان كثيرة حسب أهمية ما يريد ذكره من الأحداث أولاً، وثانياً أن زمن الحوادث التي مرت بيوسف منذ ان كان بعمر سبعة عشر عاما حتى اجتماعه مع ابيه يمتد على فترة زمنية طويلة لا يتحملها السرد مما يجعل السارد يعبر فترات زمنية ((شهورا، وسنيناً)) بصورة سريعة.

**الهوامش :**

١- الف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية: ص٢٩ .

٢ – الف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية : ص٧٠ .

٣ - المرزوقي- ص٨٩ . انظر كتابنا الف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية.

٤- سيزا قاسم - ص٦٥ . انظر كتابنا الف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية .

٥ – الف ليلة وليلة وسحرالسردية العربية :ص ٦٦ .

٦- حذفت من النص الاسطر الطباعية التي تحوي آيات قرآنية لا علاقة لها بأحداث النص من مثل : ((الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين))، وغيرها.

# الحوار

تعتمد كل نصوص قصة يوسف السماوية والوضعية على الحوار، اذ يكوّن عمودها الفقري الذي تنبني عليه السردية .

وكما قلنا سابقا ، فإن الأحداث والوقائع الهامة، يصاحبها ((تضخم نصي فيقترب حجم النص القصصي من زمن الحكاية ويطابقه تماماً في بعض الأحيان فيقع استعمال الحوار وإيراد جزئيات الحركة والخطاب)). (١)

ومن البدهي ان الحوار هو اقرب صيغة ادبية الى رؤية الشخصية ، فيما يكون السرد ابعدها .

ولما كان الحوار كذلك ، فأنه يقدم في النص دون وساطة ولا مقدمات.

والحوار بهذه الحالة يكون معطلا لسريان السرد ، اذ عند هذه الحالة يمثل مشهدا دراميا كثيرا ما يكون النص بحاجة اليه.

وللحوار دور كبير في تطوير الاحداث وفي الكشف عن دواخل الشخصية ونوازعها النفسية وطبائعها الاجتماعية . انه بصورة عامة كشف لكل مستويات الشخصية .

في الحوار لا نسمع سوى صوت الشخصية ، ومساحة الصوت زمنيا في النص هي نفسها في الواقع ، اذا تجاوزنا عادات الشخصية بالنطق ،ومن هذا المنطلق يكون الحوار على النقيض من السرد ، فأينما كان الحوار توقف السرد عن الجريان .

يبدأ نصنا بالحوار الذي يدور بين يوسف وابيه ، وينتهي بالحوار ايضا بين يوسف وابيه اذا تجاوزنا ميتافيزيقيات النص.

ودائما يبدأ الحوار بلفظة قال وتصريفاتها .

بعد ان استقبل يوسف والديه في مصر ، ذكّر يوسف والده برؤياه ، واخبره ان ماحصل له هو تنفيذ لتلك الرؤيا :

(( وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم )).

يتشكل النص من الحوار في اغلب مواضعه – كما قلنا - فهناك الحوار الذي يدور بين الاخوة وهم يناقشون اهتمام والدهم بيوسف ، وهناك الحوار الذي دار بينهم وبين والدهم ، والحوار بين العزيز وزوجته والشاهد ، والحوار الذي يدور بين يوسف والسجينين ، وبين الملك وزوجة العزيز والنساء ، وبين الملك والمنجمين ، وبين يوسف واخوته ...الخ .

ومن كل هذه الحوارات نتعرف على دواخل الشخصية ، فالحوار بين يوسف وابيه يكشف لنا قراءة الاب لمستقبل يوسف من خلال الرؤيا التي رآها :

(( قال يوسف لابيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .
قال الاب محذرا : يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا . )).
اما الحوار بين الاخوة فأنه يرسم لنا مشهدا نتعرف فيه على مدى حسد الاخوة ليوسف، وكذلك التآمر عليه :
(( قال اخوته من ابيه : ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة.
واتفقوا فيما بينهم :اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين .
قال قائل منهم : لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين )).
اما الحوار الذي دار بين الاب وابنائه حول السماح ليوسف ان يذهب معهم الى الرعي فأنه يكشف لنا صدق تخوف الابناء من شدة حب الاب ليوسف واهتمامه من دون ابنائه الاخرين :
(( توجس الاب خيفة من طلبهم ، فرد عليهم قائلا:
: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.
قالوا : لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)).
والحوار الذي دار بين النسوة وزوجة العزيز يفضح حب زوجة العزيز ليوسف ، وان لم تصل الى مرادها من هذا الحب فأنها ستقنع زوجها في زجه في السجن :
(( فلما سمعت زوجة العزيزكلامهن وكيف انهن رمينها بالضلال ، أرسلت إليهن ، وأعدت لهن مجلسا،وآتت كل واحدة منهن سكينا وفاكهة، وقالت ليوسف :( اخرج عليهن).
خرج يوسف امامهن شابا جميلا مكتمل الرجولة ، ( فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) ، وقلن: (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم).
قالت معاتبة: ( فذلكن الذي لمتنني فيه) . ثم تابعت قولها اليهن :(( لقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكون من الصاغرين) .)) .
ودار اطول حوار بين يوسف وامرأة العزيز وزوجها والشاهد في اكبر مشهد درامي يرسم لنا دواخل كل شخصية شاركت فيه:
ومرت الايام بيوسف وهو في بيت العزيز ،ولما بلغ أشده اعجبت زوجة العزيز بجماله وهيأته فهامت به عشقا (همت به) اما هو فقد قاسمها هذا الهم (وهم بها)، ( و راودته التي هو في بيتها) عن نفسه، وغلقت الابواب بعد ان هيأت له مضجعا ، وقالت : هيت لك.
فرفض بعد ان تنبه الى ما تريده زوجة العزيز من فاحشة ، وبعد ان تذكر اهتمام سيده له ، فقال لها: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون .
فهرب منها ناحية باب الدار(واستبقا الباب) ، فجذبته من قميصه من الخلف ، (وقدت قميصه من دبر) و بينما هما كذلك فاجأهم العزيز عند الباب .
اسرعت الزوجة بالقول مدارية فعلتها الشنعاء : ما جزاء من أراد بأهلك سوء؟
قال الزوج : يسجن أو يعذب عذابا أليما .

الا ان يوسف رد مدافعا عن نفسه : هي راودتني عن نفسي.
وبينما هما في جدالهم ، (شهد شاهد من أهلها ) وقال : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين).
تفحصوا القميص ، فلما رأى زوجها قميصه قد من دبر ، قال:( إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ).
ثم قال العزيزليوسف ناصحا: (يوسف أعرض عن هذا ).
والتفت الى زوجته ناصحا، قال: ( استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين). )).
وهناك الكثير من الحوارات التي حملت بين كلماتها دلالات ومعان اراد النص ان يوصلها الى مستمعيه (قبل التدوين ) من خلاله .

**الهوامش:**
١- المرزوقي- ص٨٩ .

# تقنيات بناء الشخصيات

من اعقد العوالم في حياتنا المعاشة – الآن وفي كل الازمنة - هو عالم الشخصية الانسانية ، فهو عالم معقد ، متنوع الاتجاهات على الصعيد النفسي والاجتماعي والثقافي ، حتى تعددت الصفات التي تصف كل اتجاه تتجهه اليه هذه الشخصية او تلك ، فنجد الشخصية الانسانية تحب وتكره ، وللحب والكره درجات لها اسماؤها المختلفة ، وكذلك فأنها تقوم بالحسد ، ...الخ .

ولما كان هذا هو ديدن الشخصية الانسانية في معترك الحياة ، نرى ان فنون الادب السردي التي تتحدث عن شخصية ما قد نقلت تلك الصفات من واقع الحياة الى هذا الفن ، فتنوعت عند ذلك صور الشخصية في العالم السردي كتنوعها في عالم الواقع .

الا اننا نجد بعض فنون السرد ( الفن القصصي خاصة ) قد عقدت عالم الشخصية اكثر مما هي معقدة في الواقع .

ولا نجانب الصواب اذا قلنا مع القائلين بأن السرديات – فن القص خاصة – هي فن الشخصية ،ذلك لان هذا الفن ينتج بأبداع شخصية ما ، فالملحمة انتجت لنا شخصية جلجامش ، وانتجت ما وصلتنا من احداث عن عنترة شخصية عنترة ، وكذلك القول عن الاميرة ذات الهمة ، واساطير كثيرة انتجت شخصيات في التاريخ الانساني مثل: شمشون ، وهرقل ، ...الخ.

وعندما نأتي الى الكتب السماوية وما تحويه من قصص نجدها قد انتجت شخصيات من مثل : يوسف ، وايوب وسليمان على سبيل المثال.

ويضم نصنا المدروس مجموعة من الشخصيات الرئيسية واخرى ثانوية ،اضافة الى شخصية حيوانية وهمية هي الذئب، ويمكن توزيعها كالآتي :

**آ ـ الشخصيات الرئيسية ، وهي :**

يوسف ، الاب ، الاخوة ، العزيز ، زوجة العزيز .( شكل – ١ -)

**ب ـ الشخصيات الثانوية ، وهي :**

رجال القافلة ، السجينين ،الشاهد ، النساء ، الملك . ( شكل – ٢ -)

**ج – الشخصية الحيوانية :**

الذئب ( وهي شخصية وهمية ) .

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان : (( ولذلك قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف رجحون، فقيل له: فإنّ يوسف لم يأكُله الذّئب، وإنما كذبوا على الذِّئب؛ ولذلك قال الله عزَّ وجلّ: (( وَجاؤُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كذبٍ))، قال: فهذا اسمٌ للذئب الذي لم يأكلْ يوسف)). (١)

وللشخصية في هذا النص ، كما في نصوص كثيرة ، قرآنية ام وضعية ، قديمة ام حديثة ، فنية ام غير فنية ، دور كبير في اطراد السرد، فهي المهيئة للاحداث ، والمساعدة للشخصية الرئيسية على ان تبقى حية او ان تنمو في الحياة ، وهي تختلف عن الشخصية المانحة في القصص الشعبي (٢) ، ذلك لانها تساعد البطل على استمراريته في الحياة ، وفاعليته فيها ،أي انها شخصية مساعدة.

فالواردعندما يخرج يوسف من البئر فأنه قد ساعده على ان يستمر في الحياة ، أي انه انقذه من موت محتم .

والسجينان قد ساعداه في نشر خبرته بتفسير الرؤى امام الملك.

ان كل الشخصيات الاساسية او الثانوية لها دورها في بناء سردية النص ، او في بناء شخصية البطل على المستويين الواقعي والفني .

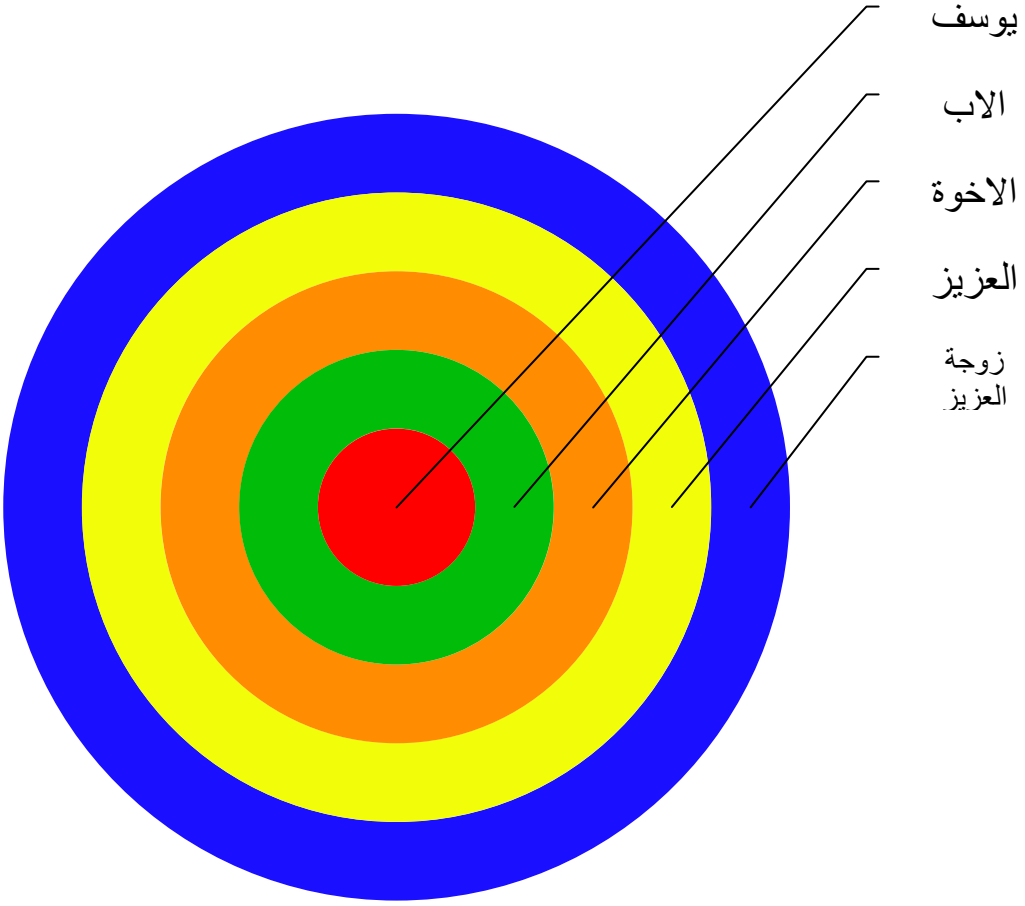


شكل – ١ –

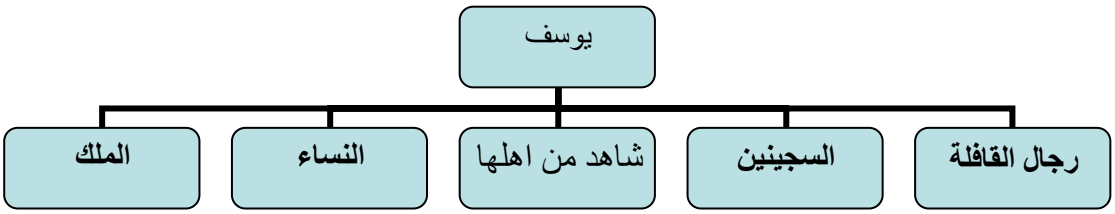


شكل – ٢ –

ان الشخصية الرئيسية لهذا النص ( القرآني والتوراتي والاسطوري) هو يوسف ، اما الشخصيات الاخرى ( رئيسية وثانوية ) فأنها تدور حولها لتهيء الاحداث لها من خلال تسبيبها او المشاركة فيها .

ويمكن ان نصنف الشخصيات حسب المكان في مجموعتين توصل بينهما مجموعة ثالثة تدخل لمرة واحدة ثم تخرج من النص دون العودة له مرة اخرى.

**المجموعة الاولى :**

الاب ، الاخوة .

**المجموعة الثانية :**

العزيز ، زوجة العزيز ، السجينان ، الملك ، الشاهد ،النساء .

اما رجال القافلة ( السيارة ) فهم الاداة التي نقلت يوسف الى المكان الثاني ، بعيدا عن اهله ، دون ان يكون لها اية فاعلية تأثير على الشخصية الرئيسية ( يوسف ).

***

**الشخصية الرئيسية :**

وهو يوسف ، اذ يبدء النص مباشرة به وبرؤياه التي رآها في المنام ووصية ابوه يعقوب الا يقص رؤياه لاخوته فيكيدون له حسدا .

مثل هذا البدء من نقطة اساسية ومفصلية في حياة الصبي يوسف دون الرجوع الى ما سبقها من امور واحداث ربما مرت بحياته قبل الرؤيا، قد جعل السرد يتخذ له تقنية كثيرا ما استخدمتها فنون القص الشعبي كـ ( السالفة ، الحكاية بكل انواعها ، الاسطورة) وكذلك فن القص الحديث ، وتسمى هذه التقنية بالسرد الدائري .

يخرج يوسف مع اخوته الى الرعي ، فيرمون به الى الجب بعد ان بيتوا ذلك ، ويعودون الى ابيهم ليخبروه ان الذئب قد اكله ، بعد ان يضعوا على قميصه دما غير دمه ( كذبا ) ليحتالوا على والده بذلك ، الا انه لم يصدقهم بأدعائهم ذاك .

تأتي سيارة ( قافلة تجارية ) فتخرجه من الجب وتأخذه معها الى مصر لتبيعه هناك الى عزيز مصر .

يظل يوسف في قصر العزيزالذي يوصي زوجته ان تكرم مثواه ، فتقع زوجة العزيز في حبه ، وتحتال على يوسف بتغليق ابواب البيت، وتطلب منه ان يطارحها

الغرام، الا انه يرفض ، ويهرع راكضا نحو الباب ، فتجره اليها ممسكة به من قميصه، فيتمزق القميص .في هذه الاثناء يدخل زوجها وصديق له فتخبره – كاذبة - ان يوسف طلب منها ان يطارحها الغرام الا انها رفضت ، الا ان صديقه يتحقق من القضية ،ويخبر العزيز ان زوجته هي الفاعلة ، وذلك لو كان قميص يوسف قد تمزق من الامام لكان هو الفاعل الا ان القميص قد تمزق من الخلف وهذا يعني انه كان هاربا منها وهي التي لحقت به ، وهذا اول تحقيق جنائي يذكره القرآن في التاريخ ( التفاسير تذكر انه طفل من اهل البيت ، او ابن عما للعزيز) .

يشيع الخبر بين نساء الطبقة العليا في المجتمع ، ولكي تريهن الشخص الذي يلمنها عليه ، تدعوهن الى بيتها وتقدم لهن فاكهة مع سكاكين لتقشير الفاكهة ، وتقوم هي بأخراجه امامهن، فعندما يرينه يجرحن ايديهن لشدة اندهاشهن من جماله.

تحتال زوجة العزيز لتدخله السجن ، فيما هو يتمنى ذلك ليبتعد عن غوايتها ، ورغم معرفة الزوج بكيد زوجته الا انه يسجن يوسف .

في السجن يدخل معه شابين ( خادمي الملك )، وفي يوم ما يطلبا منه ان يقوم بتعبير رؤاهم، فيقوم بذلك ، وعندما يخرج الشابين ، يطلب يوسف من احدهما ان يخبر سيده الملك عنه .

في يوم ما يرى الملك رؤيا لا يستطيع كل معبري الرؤى ان يفسروها ، فيتذكر خادم الملك يوسف ، فيخبر الملك ان في السجن شخصاً يستطيع ان يعبر له رؤياه ، ويقوم يوسف بتعبير رؤيا الملك ، فيطلب منه الملك ان يكون مسؤولا عن خزائنه ، فيرفض لانه سجن بغير ذنب وعلى الملك ان يتحقق في ذلك ، فيرسل الملك الى زوجة العزيز ، فتعترف بذنها ، ويخرج يوسف من السجن ويصبح وزيرا للملك (٣).

تتحقق رؤيا الملك فتجتاح المنطقة مجاعة ، فيحتاج اهل يوسف الى الحبوب ، فيرسل يعقوب أبنائه الى مصر ليشتروا الحبوب من وزيرها ، فيطلب منهم يوسف دون ان يعرفوه ان يأتوا باخيهم من ابيهم في المرة الثانية والا فأنه لم يزودهم بالحبوب .

يطلب الاخوة من ابيهم ان يسمح لهم برحيل اخوهم الصغير ( اخ يوسف من امه وابيه ) ليكتال معهم والا سوف لم يزودهم العزيز بشيء ، ويأخذ الاب ( يعقوب ) منهم ميثاق عهد بأنهم سيحافظوا عليه .

وبحيلة السرقة ، يبقي يوسف على اخيه ، ليذهب الاخوة الى ابيهم دونه.

لا يصدق الاب ( يعقوب ) بما قاله الاخوة ( النص القرآني يلمح بمعرفة يعقوب بحال يوسف ) فيطلب منهم ان يعودوا الى مصر ليأتوا بأخبار يوسف واخيه .

عندما يصل الاخوة الى يوسف يعرفهم بنفسه ، ويطلب منهم ان يأخذوا قميصه الى ابيه ، فيفعلوا ذلك ويجتمع شمل العائلة .

من خلال الاحداث التي مرت بشخصية يوسف ، نرى ان هناك اكثر من شخصية ساعدت على بنائها، واقعيا وفنيا ، من خلال مشاركتها في صنع الاحداث ، او يتسبيب حدوثها ، بحيث اصبحت هذه الشخصية اما قوية بها او من خلالها او ان تكون ضعيفة ، مما جعل بناءها في اضطراد ، وفي حالة نمو بصورة ايجابية .

فيوسف نجده في حالة ضعف معنوي في فترة الصبا ( رميه في الجب ، وبيعه )، وضعيفا امام المرأة في برهة زمنية قصيرة (ولقد همت به وهم بها)، وهو يستجيب لطلباتها (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن ) وثالثا عندما يأس من ان يعيش بعيدا عن الغواية (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ) .

ان النص يبين لنا مسار هذه الشخصية في مكانين مختلفين .

ففي المكان الاول (كنف العائلة ) يبين لنا النص ان هذه الشخصية هي شخصية صاحبة رؤى( في النص القراني رؤيا واحدة وفي النص التوراتي رؤيتين ) ، فيما تصبح في المكان الثاني معبرة للرؤى( تعبير رؤى السجينين ورؤيا الملك ). اذ من خلال رؤيا يوسف ينشأ فعل كيد الاخوة له ورميه في الجب ، أي ان الرؤيا( وهي هنا فعل استشرافي للمستقبل ) تكون مسببا لفعل هام في النص ، اما رؤى السجينين فهي على الرغم من انها استشراف لمستقبلهم، الا انها تكون سببا لان يعرف الملك به بعد تعبيرها ، وتبقى رؤيا الملك هي المسببة لان يتحول يوسف من حال الى حال ، اذ تكون بسببه براءته ومن ثم يكون هو العزيز في مصر .

هكذا تكون للرؤى- في هذا النص – فاعلية سردية على مستوى الواقع والفن .

اضافة للرؤى ، كانت للحيلة فاعليتها في النص وسرديته ، اذ نجد يوسف يحتال لجعل اخيه سارقا للمكيال ليبقيه عنده .

ان النص يقدم لنا انسانا يعتريه الضعف والقوة ، ويهم بالوقوع في الغواية ، ويستخدم الحيلة .

يقول النيسابوري: ان الاضافات التي اضيفت الى اسم يوسف كثيرة ، منها :

- رؤيا يوسف.
- ذئب يوسف .
- قميص يوسف .
- حِسن يوسف .
- ريح يوسف . (٤)

***

**شخصيات المجموعة الاولى:**

الاب ، الاخوة .

**الاب :**

وهو«يعقوب» اسم عبري معناه «يعقب» أو «يمسك العقب» أو «يحل محل». ويعقوب هو ثالث آباء اليهود، وهو ابن إسحق وجَدّ اليهود الأعلى وتوأم عيسو الأصغر. أمسك بكعب قدمه (بالعبرية: عقب)، ومن هنا كان اسمه (تكوين ٢٥/٢٦). (٥)

يقدم لنا النص هذه الشخصية كشخصية عارفة بكل شيء (كلي العلم)، مستشرفة للمستقبل ، ذلك لانها شخصية قدسية ( نبي) ، وعلى الرغم من قدسيتها فأن النص لا

يبعدها عن بشريتها ، فهي بريئة بحيث تنطلي عليها كل حيلة رغم معرفتها بحدوثها مستقبلا ، وهي تحزن ، وتمرض حالها حال البشر الاخرين .

النص لا يذكر لنا تعبير الاب لرؤيا ابنه ، الا انه يوحي بوقوع أمر جلل ليوسف ، فتتخذ هذه الشخصية دور الناصح ، فيطلب من يوسف ان لا يقصص رؤياه لاخوته كي لا يكيدوا له ، وعلى الرغم من ذلك تقع المكيدة .

تظهر هذه الشخصية اكثر من مرة ، وفي ظهورها هذا تساعد في بناء السردية ، عندما تساعد في بناء الشخصية الرئيسية للنص ( يوسف ) .

فهي تبدأ بالنصيحة ، ثم بالخوف على حياة البطل، ومن ثم الحزن على فقده ، وبعدها الحث على البحث عليه وعلى اخيه ، دون ان تفقد الامل في ايجاده ، او في معرفة حياته المستقبلية.

وهي كذلك المسببة في فعل رحيل الاخوة عدة مرات الى مصر ، اما للميرة ، او للبحث عن يوسف واخيه ، اذ لولاها لما تم الرحيل من قبل الاخوة .

واذا كان النص يبدأ بيوسف وابيه ( ذكر رؤيا يوسف ) فأنه ينتهي بهما ، اثناء اللقاء ومجيئها الى مصرللقاء الابن ، فيكون عند ذلك بناء سردية النص بناء دائرياً.

ان الشخصية هذه شخصية قدرية ، تؤمن بما صنع وسيصنع لها القدر(الله في النصوص المقدسة)، مسلمة كل شيء في حياتها له ، ولا تقف حائلا لرد ما يصيبها .

فهي تعرف بأن ابنائها سيكيدون لاخيهم الصبي (يوسف) الا انها لا تمنع هذه المكيدة بعدم السماح بمرافقة يوسف لهم ، فتقع المكيدة ، وتبدأ احزانها ، ولا تنتهي هذه الاحزان الا في نهاية النص عندما يلتقي بأبنه المفقود ، من هذا الجانب فأن النص في هذا المجال معني بحزن الاب على الابن المفقود ، ويمكن ان يكون هذا النص نص الاب الحزين ، الاب الصابر الذي لا يضيع الامل .

مثل هذه الشخصية وبمعرفتها بما سيأتي وبصبرها ، ساعدت البطل كثيرا في بناء شخصيته على المستوى المادي اوعلى المستوى الفني .

وعلى الرغم من ان شخصية يوسف هي المحورية في النص- وكذلك في النص القرآني حتى سميت السورة بأسمه - الا اننا وجدنا ان شخصية الاب هي الطاغية اكثر في النص ،اذ ان احداث النص كلها تدور حول يوسف ، لكننا نجد ان الكثير من هذه الاحداث قد وقعت بسبب الاب ، او انه يعلم بها اساسا (من خلال نبوته).

اذ كان يعلم بما سيجري لابنه ، وكان يعلم بأن الذئب بريء من دمه ، وكان يعلم ان ابنه حي يرزق ، وكان يعلم انه سيلتقي به ، وهذا ما يستشف من النص وليس من قدسية يعقوب او مما قاله المفسرون .

فعندما يخبره يوسف برؤاه يرد عليه قائلا : (( يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم )) رغم اننا لا نستطيع الجزم بقائل العبارة الاخيرة ، الا انها مترابطة ومكملة للعبارة الاولى .

وعندما يطلب الاخوة من ابيهم ان يسمح ليوسف بالذهاب معهم للمرعى ، فأنه يجيبهم قائلا : (( إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)).

وعندما يعود الاخوة بقميص يوسف ملطخا بالدم ويخبروه بما جرى ، يقول لهم : ((بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون )) .

وعندما يطلب يعقوب من ابنائه ان يدخلوا المدينة من ابوا ب متفرقة – مع عدم علمنا السبب - : (( إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) .

وفي نهاية النص يطلب من ابنائه ان يبحثوا عن يوسف واخيه لانه يعلم بوجودهما حيين: ((يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه)) .

وهكذا تتبين كلية العلم عند الاب ، واذا كان النص القرآني يعزو ذلك الى النبوة ، فأن اغلب النصوص السردية الوضعية تبعدها من تلك القدسية وتعطي اسبابا اخرى.

***

**الاخوة:**

يتقاسم النص ثيمتان رئيسيتان ، هما :الحسد ، والعفة .

ان ثيمة حسد الاخوة لاخيهم المفضل ، دفعت بالنص لان يتحرك بفاعلية الى امام في القسم الاول للنص التي تدور احداثه في المكان الاصل للعائلة ، وظلت ظلال هذه الثيمة تفعل فعلها في القسم الثاني ، بعد ان يصبح يوسف عزيزا(وزيراً) ، فيما الثيمة الرئيسية الثانية ، وهي العفة ، انبنت عليه احداث القسم الثاني لتجعل وتيرة السرد تتصاعد ويكتمل بناء الشخصية .

والحسد هنا ليس معناه (ضربة العين ) بالمفهوم الشعبي ، ولكنه المرض الاجتماعي الذي يصيب اشخاصا ما – لاسباب عديدة - ويدفعهم الى ارتكاب جريمة ما بحق الشخص المحسود .

كان يوسف الابن المفضل عند ابيه ، ولم يذكر النص اسباب هذا التفضيل ، الا ان ما تناقلته السِنة الرواة والمفسرين - وهي حتما تنقل عما تناقلته الذاكرة الشعبية الجمعية من اسباب - هو ان يوسف من زوجة اخرى اكثر شبابا من ام الاخوة ، فيما يذكر النص التوراتي ان السبب هو كثرة رؤاه التي يستشف منها حصوله على الغلبة في قابل الايام .

ومن الحسد هذا انبنى السرد ، ومن الحسد هذا عُرف يوسف .

اذن كان الحسد بداية لوقوع جريمة ، وهذه الجريمة هي رمي يوسف في الجب ، والجب هذا – على الرغم من انه على طريق القوافل - يمكن ان يكون قبرا لمن يرمى فيه .

ولو لم يرمى يوسف في الجب لبقيت حياته كحياة اخوته ، راع ليس الا ، ولما كان السرد ، ولما كانت هناك شخصية يوسف ، ولما كان هناك نص اصلا .

من فعل هذه الشخصيات كان السرد .

لهذه الشخصيات ( الاخوة) حركة واحدة ذات فعالية عظيمة في القسم الاول من النص ، ولكنها تعود بالظهور اكثر من مرة في القسم الثاني ، الا ان ظهورها يأتي بالدرجة الثانية من حيث الفاعلية ، وانما تكون الفاعلية له .

ان هذه الشخصيات وعلى الرغم من فاعليتها في بناء السرد ، الا انها لم تكن ذات تأثير فعال في بناء الشخصية ، ولا في نموها ، اذ انها لم تفعل شيئا في ذات الشخصية ، لكن فاعليتها كانت في اظهار البطل وفي السرد ، وبناء النص .

ورب ساءل يسأل : ان النص القرآني يذكر ان يوسف قد اسر في نفسه ما سمع منهم من اتهام له بالسرقة ، وهذا صحيح ، الا اننا لم نجد لهذه الثيمة أي تأثير على حياته في مصر ، بل ان كل الذي اصابه من تغير ذاتي وموضوعي كان بفعله هو .

***

**شخصيات المجموعة الثانية :**

**العزيز :**

اول ما قابل يوسف في مصر هو عزيزها (الوزير) ، وتذكر التوراة ان الذي اشتراه هو مخصي الملك (فُوطِيفَار)، اذ اشتراه بثمن بخس من جماعة القافلة ، وهذا له دلالته في ان يوسف اصبح عبدا يشترى ويباع ، وهذه احد المحن التي مر بها ، الا ان العزيز وبحكم حرمانه من الاولاد ، اوصى زوجته ان تهتم به، ((وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)).

وللعزير دور كبير في حركة السرد وتوليد الاحداث ، فلولاه لما كان ليوسف ذكر في مصر.

ان دخول هذه الشخصية حياة يوسف ، وايضا دخولها في عملية السرد ، جعلت الاثنان – حياة يوسف والسرد – يتقدمان بأطراد الى امام وبفعل حركي ، اذ كان لهذه الشخصية دور في انشاء الاحداث .

- قامت بأنقاذ يوسف وتحويله من عبد الى شخص اخر شبيه بالابن .
- سبب غير مباشر في احداث المراودة .

يوحي النص ان العزيز لم يرزق بأبناء، وهذا معناه اما ان يكون عقيما ، او غير كامل الاهلية الرجولية ، ومهما كانت حالته فكثيرا من النساء اللاتي وضعهن مثل وضع زوجة العزيز ، تحس نقصا في حياتها ، فتعوض عن ذلك النقص بالبحث عنه خارج مخدع الزوجية ، ولا نستثني بعض الرجال الذين يمرون بمثل هذه الحالة .

اضافة لذلك ، ما تنقله المرويات الاسطورية ، أي الاضافات المحايثة للنص الالهي ، من ان يوسف كان جميل زمانه ، وهذا معناه وجود حالة هيام ومن ثم شبق جنسي نحوه من قبل زوجة العزيز التي وجدت فيه المعوض عما تمر به في كنف رجل في مثل حالة العزيز اضافة الى انه ربما كان كبير السن .

فضلا عن ذلك فأن وجود شاب بجمال يوسف ، وامرأة بوضع زوجة العزيز في مكان واحد وحدهما يدفع كليهما الى الاخر (ولقد همت به وهم بها) ، (ما اجتمع اثنان الا والشيطان ثالثهم) .

هنا نقف عند كلمة ( هم بها ) ، هل كان هذا الهم هو انجذابه نحوها ووقوعه بالغواية ، ام كان غير ذلك ؟

ولما كانت دراستنا للنص دراسة ادبية ، فأننا سنتجاوز ما قيل في بعض التفاسير تحت تأثير معصومية الانبياء من ان يوسف هم بأن يضربها ، او يردعها ، او ...الخ ، الا ان النص وهو يؤكد ذلك سارع في الوقت نفسه الى القول : (ولقد همت به وهم بها).

***

**زوجة العزيز :**

لا يقدم لنا النص سوى هيامها بيوسف ، والمكيدة له وما اعدته للنساء من وليمة لتبين لهن صدق مشاعرها تجاه شخص بجمال يوسف ، ومن ثم اعترافها امام الملك بخطأها.

لم يسمها النص القرآني ، الا ان النص التوراتي يسميها (زليخة)، فأخذت اغلب التفاسير به ، فتأثر العامة بذلك . (٦)

وتذكر المصادر التي تحدثت عن قصة يوسف من خارج القرآن عن نهاية زليخة: (( مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لآنه ربما يتذكر ما كان منك إليه من المراودة والحبس فيسيء إليك )).

ويرسم ابن كثير مشهد المراودة بأسلوب سردي ، اذ يقول :

(( ... حين خرجا يستبقان إلى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فقدته قدا فظيعا يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في إثره فألفيا سيدها وهو زوجها ثم الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متنصله وقاذفة يوسف بدائها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أي فاحشة إلا أن يسجن أي يحبس أو عذاب أليم أي يضرب ضربا شديدا موجعا فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة و قال بارا صادقا هي راودتني عن نفسي وذكر أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه)). (٧)

***

**السجينان :**

هما ساقي الملك وخبازه ، يسجنهما الملك في السجن الذي سجن فيه يوسف ، ويرى كل واحد منهما رؤيا ، ويعبر لهما يوسف تلك الرؤى، الا اننا نجد هناك فرقا كبيرا في الرؤيتين بين النص التوراتي و النص القرآني .

**الرؤيتان في التوراة :**

رؤياالساقي : (( رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي، فِيهَا ثَلاَثَةُ أَغْصَانٍ أَفْرَخَتْ ثُمَّ أَزْهَرَتْ، وَمَا لَبِثَتْ عَنَاقِيدُهَا أَنْ أَثْمَرَتْ عِنَباً نَاضِجاً. وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِهِ)).

التعبير: (( الثَّلاَثَةُ أَغْصَانٍ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَرْضَى عَنْكَ فِرْعَوْنُ، وَيَرُدُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ حَيْثُ تُنَاوِلُ فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، تَمَاماً كَمَا كُنْتَ مُعْتَاداً أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ)).

رؤيا الخباز : (( رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً حُلْماً، وَإِذَا بِثَلاَثَةِ سِلاَلٍ بَيْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. وَكَانَ السَّلُّ الأَعْلَى مَلِيئاً مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِمَّا يُعِدُّهُ الْخَبَّازُ، إِلاَّ أَنَّ الطُّيُورَ كَانَتْ تَلْتَهِمُهُ مِنَ السَّلِّ الَّذِي عَلَى رَأْسِي)).

التعبير : (( إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلُ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقْطَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ فَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ)).

اما في القرآن الكريم ، فأن الرؤيتان هما :

رؤيا الساقي :

(( إني أراني أعصر خمرا )).

تعبيرها :

(( يسقي ربه خمرا)) .

رؤيا الخباز :

(( إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه)) .

تعبيرها :

(( يصلب فتأكل الطير من رأسه)) .

هكذا يلخص النص القرآني الرؤيتان ، لانه غير معني بتفاصيلهما الدقيقة .

وقد توافق النصان في نهاية السجينان ، فأحدهما يقتل والاخر ينجو ، والذي ينجو ينسى – لفترة - وصية يوسف له بأن يذكره امام الملك .

***

**الملك :**

للملك دور كبير في حياة يوسف ، فهو الذي مكّن يوسف ان يكون مسؤولا عن الجانب الاقتصادي في المملكة ، وهو الذي اخرجه من السجن ، وكذلك هو الذي برأه من مكيدة زوجة العزيز عندما ارسل بطلبها للوقوف على حقيقة المراودة فأعترفت ببراءة يوسف .

في النص القرآني يسمي هذه الشخصية بالملك ، فيما النص التوراتي تدعوها الملك مرة ، والفرعون اخرى .

***

**الشاهد :**

هذه الشخصية من اكثر الشخصيات اشكالية عند المؤرخين والمفسرين في النصوص المحايثة للنص المقدس .

فالنص التوراتي لم يذكر ثيمة الشاهد ، اما النص القرآني فيقول عنه: ((وشهد شاهد من أهلها))، فمن يكون هذا الشاهد ؟

هناك اقوال عدة ، وتشخيصات كثيرة لهذه الشخصية فمنهم من يقول انها طفل رضيع كان في البيت ، ومنهم من يقول انها ابن عم العزيز او اخيه ، ونحن اذا ابتعدنا عن هذه التكهنات نقول انه شخص عاقل حكيم كان يرافق العزيز عند عودته الى بيته.

يقول ابن كثير :

(( وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال ذو لحية وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم إنه كان رجلا وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها وقال ابن عباس كان من خاصة الملك وقد ذكر ابن إسحاق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبيا في المهد وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبيا في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث تزوجها فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج ونصف بن مريم )).(٨)

***

**النساء :**

لم يذكرهن النص التوراتي لانه لم يذكرحادثة الوليمة ، اما النص القرآني فيدعوهن بـ : ((نسوة في المدينة)) كن قد اشاعن خبر مراودة امرأة العزيز لفتاها ، فتعد لهن مجلسا ،وتسلمهن سكاكين :

(( ...(قالت) : اخرج عليهن. فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

وقلن: حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم .

قالت: فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)) .

النص لم يبين لنا لماذا قدمت لهن السكاكين ؟ فراح المفسرون يقدمون طروحاتهم حول السبب ، ولكن اغلبهم يتفق على ان امرأة العزيز قدمت لهن الفاكهة ( قيل تفاح، وقيل اترنج ، وقيل غيرهما ).

اذن ، ترك النص كما في غير موضع من نصوص القرآن ، ماذا قدمت لهن ؟ ام انها لم تقدم شيئا لهن سوى السكاكين ؟

***

**أسماء الشخصيات:**

من الامور الهامة في القصص القرآني ، وكذلك في القصص الشعبي والاساطير ،هو ان اغلب الشخصيات دون اسماء ، وقد ورد هذا النص في القرآن وكل شخصياتها – عدا يوسف وابيه – لم تسم بأسم .

وقد قلنا سابقا ان هذا النص – ربما - عرف بين العرب قبل الاسلام كأسطورة ، او واحدة من القصص الشعبي التي كانت تسلي العرب في لياليهم الطويلة ، خاصة ان التوراة تذكرها ( اقرأ النص التوراتي كما ثبتناه )، وسميت بعض شخوص النص

بتأثير من التوراة ، لهذا نجد ان المفسرين اطلقوا اسماء كثيرة على شخوص النص بتأثير من التوراة او مما كان يروى قبل الاسلام .

ان الدراسة ترى ان اهتمام النص (القرآني) لم يكن بالشخص ومن ثم بأسمه ، وانما كان الاهتمام منصبا على الفعل المولد للحدث (٩)، أي ان الشخصية القرآنية هي الحدث نفسه ، فما الفائدة في ان نعرف اسماء الاخوة ، او اسم زوجة العزيز ، اوالشخص الذي شهد ، او اسماء السجناء ، اذ اكد هذا النص عدم دلالية الاسماء ، طالما انها تدخل النص لتفعل فعل ما وتخرج منه ،دون ان يكون لها استمرارية لفعل اخر ، لهذا نجد ان ابا يوسف ( يعقوب) – رغم انه نبي معروف – فأن ذكر اسمه جاء بسبب تعدد افعاله ، ومشاركته بطولة النص .

ومن الجدير بالذكر ان القصة القصيرة الحديثة – ومجمل الفنون السردية – اتبعت هذه الطريقة ، وهي الاهتمام بالفعل ( الحدث ) وليس بفاعله .

وكذلك حدث الشيء نفسه بالنسبة للاماكن ، سوى مصر ، وترى الدراسة ان السبب في ذكرها في النص كان ليبين الانتقال من منطقة غير ذات حضارة وغير مدنية الى منطقة فيها مدنية وحضارة ، وفيها ملك وعزيز وسجن ... الخ ، لان الاسم هنا لا دلالة له سوى ما كانت تعنيه مصر في ذلك الوقت .

ومن هذا المنطلق ، يمثل لنا هذا النص صورة لكيفية الانتقال من المجتمع الرعوى الى المجتمع الزراعي – الحضاري .

فبينما كان يوسف واهله يعيشون في مجتمع رعوي ، كان هناك مجتمعا زراعيا متقدما في الحضارة ، ينتقل اليه يوسف ومن ثم اهله اليه .

ولما كان علماء الاجتماع يضعون المجتمع الرعوي قبل المجتمع الزراعي حضاريا ، فأن النص هذا يعد لبنة اساسية في كيفية التطور .

**الهوامش:**

١ – الحيوان – الجاحظ – قرص الشعر.

٢ – انظر وظائف بروب. راجع كتابنا : القصص الشعبي العراقي من خلال المنهج الموفولوجي - الموسوعة الصغيرة - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٨٦ .

٣ – كيف نقبل ما قاله الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ١٤١) برنامج المعجم - الاصدار الثالث
(( وأما غيبة يوسف عليه السلام فإنها كانت عشرين سنة لم يدهن فيها ولم يكتحل ولم يتطيب لم يمس النساء حتى جمع الله ليعقوب شمله وجمع بين يوسف وإخوته وأبيه وخالته )).
هل ظل يوسف وهو الوزير يدون التدهن والاكتحال و الطيب؟ مع العلم ان بعض المصادر تذكر انه تزوج من امرأة العزيز بعد موت زوجها .
هذه بعض الاضافات التي جعلت من النص ان يكون اسطوريا .
وكذلك ما جاء في الكتاب نفسه ص١٤١ من اضافات:
((قدم أعرابي على يوسف ليشتري منه طعاما فباعه ، فلما فرغ قال له يوسف : أين منزلك ؟ قال له : بموضع كذا وكذا : فقال له : فإذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد : يا يعقوب ! يا يعقوب ! فإنه سيخرج إليك رجل عظيم جميل جسيم وسيم ، فقل له : لقيت رجلا بمصر وهو يقرئك السلام ويقول لك : إن وديعتك عند الله عزوجل لن تضيع ، قال : فمضى الاعرابي حتى انتهى إلى الموضع فقال لغمانة : احفظوا على الابل ثم نادي : يا يعقوب ! يا يعقوب ! فخرج إليه رجل أعمى طويل جسيم جميل يتقى الحائط بيده حتى أقبل فقال له لارجل : أنت يعقوب ؟ قال : نعم فأبلغه ما قال له يوسف قال : فسقط مغشيا عليه ، ثم أفاق فقال : يا أعرابي ألك حاجة إلى الله عزوجل ؟ فقال له : نعم إنى رجل كثير المال ولي ابنة عم ليس يولد لى منها واحب أن تدعو الله أن يرزقني ولدا ، قال : فتوضأ يعقوب وصلى ركعتين ثم دعا الله عزوجل ، فرزق أربعة أبطن أوقال ستة أبطن في كل بطن اثنان )).
وقد جعل الشيخ الصدوق من يوسف ملكا بينما الذي يظهر من القرآن وبعض الاخبار انه اصبح وزيرا (عزيزا).
وكذلك من الاضافات التي ذكرها الكتاب وذكرها غيره من كتاب سيرة يوسف وما جاء في بعض التفسير ، ان يعقوب قال لاولاده عندما جاؤا بقميص يوسف وعليه دم كذب : (( قال لهم : يا بنى ألستم تزعمون أن الذئب قد أكل حبيبي يوسف ؟ قالوا : نعم ، قال : مالى لا أشم ريح لحمه ؟ ! ومالي أري قميصه صحيحا ؟ هبوا أن القميص انكشف من أسفله أرأيتم ماكان في منكبيه وعنقه كيف خلص إليه الذئب من غير أن يخرقه ، إن هذا الذئب لمكذوب عليه ، وإن ابني لمظلوم " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " وتولى عنهم ليلتهم تلك لا يكلمهم وأقبل يرثى يوسف )).
٤ - ثمار القلوب في المضاف والمنصوب- والمنسوب لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابوري- قرص مكتبة الادب.
٥ - ماخوذ من مقدمة موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية".
٦ – ومن اطرف ما قرأت قصة يوسف وزليخا في مصارع العشاق السراج القاري، يقول : ((لما خلت زليخا بيوسف، عليه السلام، ارتعد يوسف. فقالت زليخا: من أي شيء ترعد،إنما جئت بك لتأكل وتشرب وتشتم رائحتي، وأشتم رائحتك. قال: يا أمة الله، لست لي بحرمة. قالت: فمن أي شيء تفزع؟ قال: من سيدي. قالت: الساعة، إذا

نزل من الركوب،واخذت بيدي الكأس المذهب والإبريق المفضض، سقيته شربةً من السم، وألقيت لحمهعن عظمه. قال لها: لا تفعلي، فلست ممن يقتل الملوك، وإنما أخاف من إله السماء. قالتله: فعندي من الذهب والفضة والجواهر والعقيق ما أفديك منه. قال: هو لا يقبل الرشا.

قالت: دع عنك هذا! قم اسق أرضي. قال: لا ازرع أرض غيري.قالت: فارفع رأسك انظر إلي! قال: أخاف العمى في آخر عمري. قالت: فمازحني ترجع إلي نفسي.قال: يا أمة الله! لست لي بحرمة فأمازحك. قالت: فلا صبر لي عن هذه الذؤابة التي بلغت إلى قدميك، ليتني وسمتها مرةً واحدةً. قال: أخشى أن تحشى من قطران جهنم، يا هذه، هوذا الشيطان يعينك على فتنتي، لا تشوهي بخلقي ذا الحسن الجميل، فادعى في الخلق زايناً، وفي الوحوش خائناً، وفي السماء عبداً كفوراً.

قال وهب: ولان من يوسف، عليه السلام، مقدار جناح بعوضة، فارتفعت الشهوة إلى وجهه، وفاستنارت، وكان سرواله معقوداً تسع عشرة عقدةً، فحل أول عقدة، وإذا قائل يقول من زاوية البيت: إن الله كان عليكم رقيباً! ثم حل العقدة الثانية، فإذا قائل يقول: ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فأوحى الله، عز وجل، إلى جبريل: الحقه، فغنه المعصوم في ديوان الأنبياء! فانفرج السقف في أقل من اللمح فنزل جبريل، عليه السلام، فضرب صدره ضربةً، فخرجت شهوته من أطراف أنامله فنقص منه ولد، فولد لكل رجل من أولاد يعقوب، عليه السلام، اثنا عشر ولداً، ما خلا يوسف، عليه السلام، فإنه ولد له أحد عشر. فقال: يا رب ماذا خبري؟ لم ألحق بأخوتي في الويد، فأوحى الله، عز وجل، إليه: إن الشهوة التي خرجت من أنامك حاسبناك بها.

وبإسناده قال وهب: لما أراد الله بيوسف الخير قامت زليخا إلى طاق لها، فارخت عليه ستراً، وكان لها في الطاق صنم من خشبٍ تعبده، فقال لها يوسف، عليه السلام: ماذا صنعت؟ قالت: استحييت من إلهي أن يراني أصنع الفاحشة. قال: فأنت تستحيين من إله من خشب لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يسمع ولا يبصر، فأنا أستحيي ممن أكرم مثواي، واحسن مأواي، واستبقا الباب.قالت زليخا: يا يوسف، بليت منك بخصلتين: ما رأيت بشراً أحسن منك، والثانية زوجي عنين. فلما تزوجها يوسف، عليه السلام، فأبصر بعينيها حولاً قال: يا زليخا! أو حولاء؟ قالت له: ما علمت؟ قال: لا والله! قالت: ما استحللت أن أملأ عيني منك.

قال وهب بن منبه: وكانت زليخا ممنوعة من الشقاء، وكانت أجمل من بطشابع صاحبة داود، عليه السلام)). ( مصارع العشاق – السراج القاري ) قرص الشعر.

٧ - تفسير ابن كثير – ج٢ -٤٧٦ .المكتبة الالفية.

٨ - تفسير ابن كثير – ج٢ -٤٧٦ .المكتبة الالفية.

٩ – لم يذكر القرآن اسماء شخوص القصص التي وردت فيه من مثل : أسماء أصحاب الكهف وذي القرنين واسم الرجل الصالح، و وصاحبي الجنتين، والشخص الثاني في الغار ... الخ .

# القراءة السيميولوجية

تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين قراءات نقدية جديدة للنص ، وكان من اهمها هو القراءة السيميولوجية التي كان من اهم انجازاتها بعد فحص النصوص، وجدت انها – أي تلك النصوص - قد ارتكزت على عناصر من اهمها العلامة (Index) التي تدرس العلاقة بين الدال والمدلول .

والنص المدروس لكي يوصل دلالاته الى قارئه حاول ان يستفيد من هذا العنصر السيميولوجي .

فمن بين تلك العلامات السيميولوجية :الدم الذي وضعه الابناء على قميص يوسف . الا ان الاب و من خلال قوى خارجة عن ذاته يعرف ان هذا الدم ليس بدم ابنه يوسف ، في الوقت نفسه كان الابناء يعرفون من خلال الاعراف الثقافية للبشرية ان الدم يدل على القتل .

(( ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب.ثم عادوا الى ابيهم عشاء وهم يبكون، وبيدهم قميصه ملطخا بدم كذب .

قالوا :يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

قال الاب غير مصدق : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)).

حاول بعض المفسرين ان يجدوا تفسيرا لعدم تصديق الاب بأن الذئب هو الذي اكل ( حسب النص القرآني ، وافترس ، حسب النص التوراتي) ابنه ، فقال بعضهم انها معرفة نبويه ، قوى من خارج ذاته ، فيما قال البعض - وكان اكثر واقعية من اصحاب التفسير الميتافيزيقي- ان الاب عندما رآى قميص يوسف غير ممزق عرف ذلك ، لان الذئب لو كان مفترسا لولده لكان القميص قد تمزق من الافتراس ، ولهذا نرى النص القرآني اكثر واقعية من النص التوراتي في اختيارلفظة ( اكل ) ولم يستخدم لفظة ( افترس ).

والنص القرآني، وهو يصحح ما كان متداولا للنص وقتذاك تحت تأثير التوراة ، جعل الاخوة هم الذين يخبرون والدهم بأكل الذئب ليوسف ، فيما النص التوراتي ، اوما كان متداولا بين العامة ، قد جعل الاب هو الذي يستنتج ذلك من خلال رؤيته للدم على قميص يوسف : (( فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ الْمُلَوَّنَ، وَذَبَحُوا تَيْساً مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ، وَأَرْسَلُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا هَذَا الْقَمِيصَ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ، أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟» فَتَعَرَّفَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «هَذَا قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءً».)).

ومن بين العلامات التي استخدمها النص ، هي :اغلاق ابواب البيت وتهيئة المضجع.

(( وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون )).

فأغلاق الابواب يرمز الى الخلوة في حالة وجود انثى – متيمة حباً - وذكر غريب- ذو جاذبية لجنس النساء - في مكان واحد. والخلوة عرفا وشرعا ، معناها تهيئة الاجواء لعمل جنسي .

وقد استخدم النص القرآني لفظة ( غلّقت ) الابواب، وذلك للمبالغة في تهيئة الاجواء للممارسة الجنسية بكل حذر .

وقول المتيمة – زوجة العزيز - (هيت لك) هو بيان الاستعداد الكامل للممارسة الجنسية .

و ( هيت ) (يقال : إنها بالحورانية ) (١)

وعن ( هيت لك ) يقول الميناجي: (( تهيأت لك ، أما سمعت قول اصيحة الانصاري :

**به أحمي المضاف إذا دعاني إذا ما قيل للابطال هيتا** )) .(٢)

**الهوامش :**

١- مجلة تراثنا ج ٨ - مؤسسة آل البيت - ص ٢٧٧ .

٢- مواقف الشيعة ج ٣ - الأحمدي الميانجي - ص ٣٥٢ .

# نصوص القصة (١)

## ١ – النص القراني :

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين * إذ قال يوسف لابيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم * لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين * قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون * ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون * قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون * قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون * فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون * وجاءوا أباهم عشاء يبكون * قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون * وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين *وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين *وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون* ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين* واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم *

يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين* وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين* فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين * ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان * وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين * وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون* ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون * وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم * وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم* وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون *وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا

ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين * فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون * وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون * فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون* قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين * ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير * قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل * وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنك من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين* قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم * قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون * قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون * فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون* قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم* وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون* يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون * فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين* قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو

أرحم الراحمين * اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم إني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون * قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون * قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم * فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم * رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السماوات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين * وكأين من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون * قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين* وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .

***

## ٢ – النص التوراتي :

(( وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حَيْثُ تَغَرَّبَ أَبُوهُ، وَهَذَا سِجِلُّ بِسِيرَةِ يَعْقُوبَ. إِذْ كَانَ يُوسُفُ غُلاَماً فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، رَاحَ يَرْعَى الْغَنَمَ مَعَ إِخْوَتِهِ أَبْنَاءِ بِلْهَةَ وَزِلْفَةَ زَوْجَتَيْ أَبِيهِ، فَأَبْلَغَ يُوسُفُ أَبَاهُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ. وَكَانَ إِسْرَائِيلُ يُحِبُّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ كَانَ ابْنَ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصاً مُلَوَّناً. وَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ كَرِهُوهُ وَأَسَاءُوا إِلَيْهِ بِكَلاَمِهِمْ.
وَحَلَمَ يُوسُفُ حُلْماً قَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَازْدَادُوا لَهُ بُغْضاً. قَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هَذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلَمْتُهُ. رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَماً فِي الْحَقْلِ، فَإِذَا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لَهَا». فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟» وَزَادَ بُغْضُهُمْ لَهُ بِسَبَبِ أَحْلاَمِهِ وَكَلاَمِهِ. ثُمَّ حَلَمَ حُلْماً آخَرَ سَرَدَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، قَالَ: «حَلَمْتُ حُلْماً آخَرَ، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً سَاجِدَةٌ لِي». وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، فَأَنَّبَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: «أَيُّ حُلْمٍ هَذَا الَّذِي حَلَمْتَهُ؟ أَتَظُنُّ حَقّاً أَنَّنِي وَأُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ سَنَأْتِي وَنَنْحَنِي لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ. أَمَّا أَبُوهُ فَأَسَرَّ هَذَا الْكَلاَمَ فِي قَلْبِهِ.

وَانْطَلَقَ إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ، فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: أَلاَ يَرْعَى إِخْوَتُكَ الْغَنَمَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ لأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ. اذْهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلَى إِخْوَتِكَ وَعَلَى الْمَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ، فَمَضَى مِنْ وَادِي حَبْرُونَ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى شَكِيمَ. وَالْتَقَاهُ رَجُلٌ فَوَجَدَهُ تَائِهاً فِي الْحُقُولِ، فَسَأَلَهُ: «عَمَّنْ تَبْحَثُ؟» فَأَجَابَهُ: «أَبْحَثُ عَنْ إِخْوَتِي. أَرْجُوكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: «لَقَدِ انْتَقَلُوا مِنْ هُنَا، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ». فَانْطَلَقَ يُوسُفُ فِي إِثْرِ إِخْوَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فِي دُوثَانَ.

وَمَا إِنْ رَأَوْهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَقَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ حَتَّى تَآمَرُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَا هُوَ صَاحِبُ الأَحْلاَمِ مُقْبِلٌ. هَيَّا نَقْتُلْهُ وَنُلْقِ بِهِ فِي إِحْدَى الآبَارِ، وَنَدَّعِ أَنَّ وَحْشاً ضَارِياً افْتَرَسَهُ، لِنَرَى مَاذَا تُجْدِيهِ أَحْلاَمُهُ». وَإِذْ سَمِعَ رَأُوبَيْنُ حَدِيثَهُمْ، أَرَادَ أَنْ يُنْقِذَهُ فَقَالَ: «لاَ نَقْتُلْهُ، وَلاَ تَسْفِكُوا دَماً، بَلِ اطْرَحُوهُ فِي هَذِهِ الْبِئْرِ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَداً بِأَذًى». وَقَدْ أَشَارَ رَأُوبَيْنُ بِهَذَا لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْهُمْ وَيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. وَعِنْدَمَا قَدِمَ عَلَى إِخْوَتِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ قَمِيصَهُ الْمُلَوَّنَ الَّذِي كَانَ يَرْتَدِيهِ، وَأَخَذُوهُ وَأَلْقَوْا بِهِ فِي الْبِئْرِ. وَكَانَتِ الْبِئْرُ فَارِغَةً مِنَ الْمَاءِ.

وَحِينَ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا شَاهَدُوا عَنْ بُعْدٍ قَافِلَةً مِنَ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ قَادِمِينَ مِنْ جِلْعَادَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى مِصْرَ، وَجِمَالُهُمْ مُثْقَلَةٌ بِالتَّوَابِلِ وَالْبَلَسَانِ وَاللاذَنِ. فَقَالَ يَهُوذَا لِإِخْوَتِهِ: «مَا جَدْوَى قَتْلِ أَخِينَا وَإِخْفَاءِ دَمِهِ؟ تَعَالَوْا نَبِيعُهُ إِلَى الإِسْمَاعِيلِيِّينَ وَنُبْرِئُ أَيْدِينَا مِنْ دَمِهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَمِنْ لَحْمِنَا». فَوَافَقَ إِخْوَتُهُ عَلَى رَأْيِهِ. وَعِنْدَمَا دَنَا مِنْهُمُ التُّجَّارُ الْمِدْيَانِيُّونَ، سَحَبُوا يُوسُفَ مِنَ الْبِئْرِ وَبَاعُوهُ لَهُمْ بِعِشْرِينَ قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ، فَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ. ثُمَّ ذَهَبَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ لِيُنْقِذَ يُوسُفَ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ، وَرَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ يَقُولُ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُوداً، وَأَنَا الآنَ إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ؟»

فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ الْمُلَوَّنَ، وَذَبَحُوا تَيْساً مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ، وَأَرْسَلُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا هَذَا الْقَمِيصَ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ، أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟» فَتَعَرَّفَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «هَذَا قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءً». فَشَقَّ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَارْتَدَى الْمُسُوحَ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّاماً عَدِيدَةً. وَعِنْدَمَا قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ لِيُعَزُّوهُ أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَمْضِي إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ. وَبَاعَ الْمِدْيَانِيُّونَ يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الْحَرَسِ.

وَأَخَذَ الإِسْمَاعِيلِيُّونَ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ مِصْرِيٌّ يُدْعَى فُوطِيفَارَ، كَانَ خَصِيَّ فِرْعَوْنَ وَرَئِيسَ الْحَرَسِ. وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ، فَأَفْلَحَ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ. وَرَأَى مَوْلاَهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّهُ يُكَلِّلُ كُلَّ مَا تَصْنَعُهُ يَدَاهُ بِالنَّجَاحِ، فَحَظِيَ يُوسُفُ بِرِضَى سَيِّدِهِ، فَجَعَلَهُ وَكِيلاً عَلَى بَيْتِهِ وَوَلاَهُ عَلَى كُلِّ مَالِهِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ وَكُلَّ مَالِهِ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَالْحَقْلِ بِفَضْلِ يُوسُفَ. فَعَهِدَ بِكُلِّ مَالِهِ إِلَى يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَهُ شَيْئاً إِلاَّ الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ جَمِيلَ الْهَيْئَةِ وَسِيمَ الْوَجْهِ.

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ أُغْرِمَتْ بِهِ زَوْجَةُ مَوْلاَهُ فَقَالَتْ: «اضْطَجِعْ مَعِي». فَأَبَى وَقَالَ لَهَا: «هُوَذَا سَيِّدِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَلَمْ يُشْغِلْ نَفْسَهُ بِأَيِّ شَأْنٍ فِيهِ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِّي. وَلَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكِ لأَنَّكِ زَوْجَتُهُ. فَكَيْفَ أَقْتَرِفُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِيءُ إِلَى اللهِ؟» وَلَمْ يُذْعِنْ يُوسُفُ لَهَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تُلِحُّ عَلَيْهِ يَوْماً بَعْدَ آخَرَ.

وَحَدَثَ يَوْماً أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَنْزِلِ أَحَدٌ، فَأَمْسَكَتْهُ مِنْ رِدَائِهِ وَقَالَتْ: «اضْطَجِعْ مَعِي». فَتَرَكَ رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَعِنْدَمَا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ رَفَضَ وَهَرَبَ خَارِجاً تَارِكاً رِدَاءَهُ بِيَدِهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا وَقَالَتْ: «انْظُرُوا مَا جَرَى؟ هَذَا الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ زَوْجِي إِلَى الْبَيْتِ. شَرَعَ يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. دَخَلَ غُرْفَتِي وَحَاوَلَ اغْتِصَابِي، فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي. وَعِنْدَمَا سَمِعَنِي قَدْ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ رِدَاءَهُ مَعِي وَهَرَبَ خَارِجاً».

وَأَلْقَتْ رِدَاءَهُ إِلَى جَانِبِهَا حَتَّى قَدِمَ مَوْلاَهُ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ قَائِلَةً: «دَخَلَ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُرَاوِدَنِي عَنْ نَفْسِي، وَحِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ خَارِجاً».

فَلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ زَوْجَتِهِ وَمَا اتَّهَمَتْ بِهِ يُوسُفَ احْتَدَمَ غَضَبُهُ، فَقَبَضَ عَلَى يُوسُفَ وَزَجَّهُ فِي السِّجْنِ، حَيْثُ كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مُعْتَقَلِينَ، فَمَكَثَ هُنَاكَ.

وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، فَأَغْدَقَ عَلَيْهِ رَحْمَتَهُ، فَنَالَ رِضَى رَئِيسِ السِّجْنِ، حَتَّى عَهِدَ إِلَى يُوسُفَ بِكُلِّ الْمَسَاجِينِ الْمُعْتَقَلِينَ، وَجَعَلَهُ مَسْئُولاً عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي هُنَاكَ. وَلَمْ يُحَاسِبْ رَئِيسُ السِّجْنِ يُوسُفَ بِأَيِّ شَيْءٍ أَوْكَلَهُ إِلَيْهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ. وَمَهْمَا فَعَلَ كَانَ الرَّبُّ يُكَلِّلُهُ بِالنَّجَاحِ.

وَاتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلَى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ، فَسَخِطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ: رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ، وَزَجَّهُمَا فِي مُعْتَقَلِ بَيْتِ رَئِيسِ الْحَرَسِ فِي السِّجْنِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوساً فِيهِ. فَوَلَّى رَئِيسُ الْحَرَسِ يُوسُفَ أَمْرَهُمَا، فَقَامَ عَلَى خِدْمَتِهِمَا، فَمَكَثَا فِي الْمُعْتَقَلِ أَيَّاماً.

وَحَلَمَ كُلٌّ مِنْ سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازِهِ الْمُعْتَقَلَيْنِ فِي السِّجْنِ حُلْماً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ لِحُلْمِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَعْنَاهُ الْخَاصُّ بِصَاحِبِهِ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا يُوسُفُ فِي الصَّبَاحِ فَوَجَدَهُمَا مُكْتَئِبَيْنِ. فَسَأَلَهُمَا: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكْفَهِرَّانِ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟» فَأَجَابَاهُ: «حَلَمَ كُلٌّ مِنَّا حُلْماً وَلَيْسَ مَنْ يُفَسِّرُهُ». فَقَالَ يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ تَفَاسِيرُ الأَحْلاَمِ لِلهِ؟ حَدِّثَانِي بِهِمَا».

فَسَرَدَ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ. قَالَ: «رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي، فِيهَا ثَلاَثَةُ أَغْصَانٍ أَفْرَخَتْ ثُمَّ أَزْهَرَتْ، وَمَا لَبِثَتْ عَنَاقِيدُهَا أَنْ أَثْمَرَتْ عِنَباً نَاضِجاً. وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِهِ». فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ أَغْصَانٍ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَرْضَى عَنْكَ فِرْعَوْنُ، وَيَرُدُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ حَيْثُ تُنَاوِلُ فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، تَمَاماً كَمَا كُنْتَ مُعْتَاداً أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ. إِنَّمَا إِذَا أَصَابَكَ خَيْرٌ فَاذْكُرْنِي وَأَحْسِنْ إِلَيَّ. اذْكُرْنِي لَدَى فِرْعَوْنَ وَأَخْرِجْنِي مِنْ هَذَا السِّجْنِ، لأَنَّنِي حُمِلْتُ عَنْوَةً مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضاً لَمْ أَجْنِ شَيْئاً لِيَزُجُّوا بِي فِي هَذَا السِّجْنِ».

وَعِنْدَمَا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّ يُوسُفَ أَحْسَنَ التَّفْسِيرَ، قَالَ لَهُ: «رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً حُلْماً، وَإِذَا بِثَلاَثَةِ سِلاَلٍ بَيْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. وَكَانَ السَّلُّ الأَعْلَى مَلِيئاً مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ

مِمَّا يُعِدُّهُ الْخَبَّازُ، إِلاَّ أَنَّ الطُّيُورَ كَانَتْ تَلْتَهِمُهُ مِنَ السَّلِّ الَّذِي عَلَى رَأْسِي». فَقَالَ يُوسُفُ: «إِلَيْكَ تَفْسِيرَهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلُ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقْطَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ فَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ».

وَكَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ هُوَ يَوْمُ عِيدِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، فَأَقَامَ مَأْدُبَةً لِجَمِيعِ رِجَالِهِ، وَأَحْضَرَ مِنَ السِّجْنِ رَئِيسَ السُّقَاةِ وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ أَمَامَهُمْ. وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى عَمَلِهِ، فَصَارَ يُقَدِّمُ الْكَأْسَ لِيَدِ فِرْعَوْنَ. أَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَقَدْ عَلَّقَهُ (عَلَى خَشَبَةٍ) مِثْلَمَا فَسَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ حُلْمَيْهِمَا. وَلَكِنَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ لَمْ يَذْكُرْ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ.

وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ ٢وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ، صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ أَخَذَتْ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ٣ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَهَزِيلاَتٍ تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ وَتَقِفُ إِلَى جُوَارِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. ٤وَالْتَهَمَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَاتِ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَاتِ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ. ٥ثُمَّ نَامَ، فَحَلُمَ ثَانِيَةً، وَإِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ نَابِتَةٍ مِنْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ زَاهِيَةٍ وَمُمْتَلِئَةٍ ٦ثُمَّ رَأَى سَبْعَ سَنَابِلَ عَجْفَاءَ قَدْ لَفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةً وَرَاءَهَا، ٧فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ السَّنَابِلَ الزَّاهِيَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ حُلْمٌ. ٨وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ اسْتَوْلَى الانْزِعَاجُ عَلَى فِرْعَوْنَ فَأَرْسَلَ وَاسْتَدْعَى جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَكُلَّ حُكَمَائِهَا، وَسَرَدَ عَلَيْهِمْ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُفَسِّرُهُ لَهُ.

٩عِنْدَئِذٍ قَالَ رَئِيسُ السُّقَاةِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي أَذْكُرُ الْيَوْمَ ذُنُوبِي. ١٠لَقَدْ سَخِطَ فِرْعَوْنُ عَلَى عَبْدَيْهِ، فَزَجَّنِي وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ فِي مُعْتَقَلِ بَيْتِ رَئِيسِ الْحَرَسِ. ١١فَحَلُمَ كُلٌّ مِنَّا حُلْماً فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ تَفْسِيرُ كُلِّ حُلْمٍ يَتَّفِقُ مَعَ أَحْوَالِ رَائِيهِ. ١٢وَكَانَ مَعَنَا هُنَاكَ غُلاَمٌ عِبْرَانِيٌّ، عَبْدٌ لِرَئِيسِ الْحَرَسِ، فَسَرَدْنَا عَلَيْهِ حُلْمَيْنَا فَفَسَّرَهُمَا لِكُلٍّ مِنَّا حَسَبَ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ. ١٣وَقَدْ تَمَّ مَا فَسَّرَهُ لَنَا. فَرَدَّنِي فِرْعَوْنُ إِلَى وَظِيفَتِي وَأَمَّا ذَاكَ فَعَلَّقَهُ (عَلَى خَشَبَةٍ»).

١٤فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ وَاسْتَدْعَى يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا وَأَتَوْا بِهِ مِنَ السِّجْنِ فَحَلَقَ وَاسْتَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَمَثَلَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. ١٥فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ حُلْماً وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يُفَسِّرُهُ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثاً أَنَّكَ إِنْ سَمِعْتَ حُلْماً تَقْدِرُ أَنْ تُفَسِّرَهُ». ١٦فَأَجَابَ يُوسُفُ: «لاَ فَضْلَ لِي فِي ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُعْطِي فِرْعَوْنَ الْجَوَابَ الصَّائِبَ».

١٧فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «رَأَيْتُ نَفْسِي فِي الْحُلْمِ وَإِذَا بِي أَقِفُ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ، ١٨وَإِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ حِسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَانِ صَاعِدَاتٍ مِنَ النَّهْرِ تَرْعَى فِي الْمَرْجِ، ١٩ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَهَزِيلاَتٍ تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ. لَمْ أَرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ كُلِّهَا نَظِيرَهَا فِي الْقَبَاحَةِ. ٢٠فَالْتَهَمَتِ الْبَقَرَاتُ الْهَزِيلاَتُ الْقَبِيحَاتُ السَّبْعَ الْبَقَرَاتِ الأُولَى السَّمِينَاتِ. ٢١وَمَعَ أَنَّهَا ابْتَلَعَتْهَا ظَلَّتْ عَجْفَاءَ وَكَأَنَّهَا لَمْ تَبْتَلِعْهَا وَبَقِيَ مَنْظَرُهَا قَبِيحاً كَمَا كَانَتْ. وَاسْتَيْقَظْتُ. ٢٢ثُمَّ رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ زَاهِيَةٍ وَمُمْتَلِئَةٍ نَابِتَةٍ مِنْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ، ٢٣ثُمَّ إِذَا بِسَبْعِ سَنَابِلَ يَابِسَةٍ عَجْفَاءَ قَدْ لَفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا، ٢٤فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الْعَجْفَاءُ السَّبْعَ الزَّاهِيَةَ. وَلَقَدْ سَرَدْتُ عَلَى السَّحَرَةِ هَذَيْنِ الْحُلْمَيْنِ، فَلَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُمَا لِي».

٢٥فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمَا فِرْعَوْنَ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. وَقَدْ أَطْلَعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ. ٢٦السَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْحِسَانُ هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ. وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الزَّاهِيَاتُ هِيَ أَيْضاً سَبْعُ سَنَوَاتٍ. فَالْحُلْمَانِ هُمَا حُلْمٌ وَاحِدٌ. ٢٧وَالسَّبْعُ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَاتُ الْهَزِيلاَتُ الَّتِي صَعِدَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سَنَوَاتٍ. وَالسَّبْعُ السَّنَابِلُ الْفَارِغَاتُ الْمَلْفُوحَاتُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ سَتَكُونُ سَبْعَ سَنَوَاتِ جُوعٍ ٢٨وَالأَمْرُ هُوَ كَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ: فَقَدْ أَطْلَعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ صَانِعٌ ٢٩هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ رَخَاءٍ عَظِيمٍ قَادِمَةٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، ٣٠تَعْقُبُهَا سَبْعُ سَنَوَاتِ جُوعٍ، حَتَّى يَنْسَى النَّاسُ كُلَّ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ، وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ، ٣١وَيَخْتَفِي كُلُّ أَثَرٍ لِلرَّخَاءِ فِي الْبِلاَدِ مِنْ جَرَّاءِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي تَعْقُبُهُ، لأَنَّهَا سَتَكُونُ قَاسِيَةً جِدّاً ٣٢أَمَّا تَكْرَارُ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ فَلأَنَّ الأَمْرَ قَدْ حَتَمَهُ اللهُ ، وَلاَبُدَّ أَنْ يُجْرِيَهُ سَرِيعاً.

٣٣وَالآنَ لِيَبْحَثْ فِرْعَوْنُ عَنْ رَجُلٍ بَصِيرٍ حَكِيمٍ يُوَلِّيهِ عَلَى الْبِلاَدِ، ٣٤وَلْيُقِمْ فِرْعَوْنُ نُظَّاراً عَلَى أَرْضِ مِصْرَ يَجْبُونَ خُمْسَ غَلَّتِهَا فِي سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ السَّبْعِ. ٣٥وَلِيَجْمَعُوا كُلَّ طَعَامِ سَنَوَاتِ الْخَيْرِ الْمُقْبِلَةِ، وَيَخْزِنُوا الْقَمْحَ بِتَفْوِيضٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَيَحْفَظُوهُ فِي الْمُدُنِ لِيَكُونَ طَعَاماً، ٣٦وَمَؤُونَةً لأَهْلِ الأَرْضِ فِي سَنَوَاتِ الْمَجَاعَةِ السَّبْعِ الَّتِي سَتَسُودُ أَرْضَ مِصْرَ فَلاَ يَهْلِكُونَ جُوعاً».

٣٧فَاسْتَحْسَنَ فِرْعَوْنُ وَرِجَالُهُ جَمِيعاً هَذَا الْكَلاَمَ، ٣٨وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ نَظِيرَ هَذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ؟» ٣٩ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَطْلَعَكَ عَلَى كُلِّ هَذَا، فَلَيْسَ هُنَاكَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ نَظِيرَكَ. ٤٠لِذَلِكَ أُوَلِّيكَ عَلَى بَيْتِي، وَيُذْعِنُ شَعْبِي لِكُلِّ أَمْرٍ تُصْدِرُهُ، وَلَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْكَ سِوَايَ أَنَا صَاحِبِ الْعَرْشِ».

٤١ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «هَا أَنَا قَدْ وَلَّيْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». ٤٢وَنَزَعَ فِرْعَوْنُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَوَضَعَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ كَتَّانٍ فَاخِرَةً وَطَوَّقَ عُنُقَهُ بِطَوْقٍ مِنْ ذَهَبٍ، ٤٣وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادُوا: «ارْكَعُوا أَمَامَهُ». وَأَقَامَهُ وَالِياً عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. ٤٤وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ، وَلاَ أَحَدَ يُمْكِنُ أَنْ يُحَرِّكَ سَاكِناً فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِكَ».

٤٥وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ (وَمَعْنَاهُ بِالْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ أَوْ حَافِظُ الْحَيَاةِ). وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاتَ بِنْتِ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، فَذَاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ.

٤٦وَكَانَ يُوسُفُ فِي الثَّلاَثِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا مَثَلَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ. وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْ حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ شَرَعَ يَجُولُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبِلاَدِ.

٤٧وَفِي سَنَوَاتِ الْخِصْبِ السَّبْعِ غَلَّتِ الأَرْضُ بِوَفْرَةٍ، ٤٨فَجَمَعَ كُلَّ طَعَامِ السَّبْعِ سَنَوَاتٍ الْمُتَوَافِرِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَخَزَنَهُ فِي الْمُدُنِ، فَاخْتَزَنَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ غَلاَّتِ مَا حَوْلَهَا مِنْ حُقُولٍ. ٤٩وَادَّخَرَ يُوسُفُ كَمِّيَّاتٍ هَائِلَةً مِنَ الْقَمْحِ حَتَّى كَفَّ عَنْ إِحْصَائِهَا لِوَفْرَتِهَا الْعَظِيمَةِ.

٥٣ثُمَّ انْتَهَتْ سَبْعُ سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ الَّذِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ. ٥٤وَحَلَّتْ سَبْعُ سَنَوَاتِ الْمَجَاعَةِ كَمَا أَنْبَأَ يُوسُفُ. فَحَدَثَتْ مَجَاعَةٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ. أَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَقَدْ تَوَافَرَ فِيهَا الْخُبْزُ. ٥٥وَعِنْدَمَا عَمَّتِ الْمَجَاعَةُ جَمِيعَ أَرْضِ مِصْرَ صَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ طَالِبِينَ الْخُبْزَ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ وَافْعَلُوا كَمَا يَقُولُ

لَكُمْ». ٥٦وَطَغَتِ الْمَجَاعَةُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْبِلاَدِ فَفَتَحَ يُوسُفُ الْمَخَازِنَ وَبَاعَ الطَّعَامَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَلَكِنَّ وَطْأَةَ الْجُوعِ اشْتَدَّتْ فِي أَرْضِ مِصْرَ. ٥٧وَأَقْبَلَ أَهْلُ الْبُلْدَانِ الأُخْرَى إِلَى مِصْرَ، إِلَى يُوسُفَ، لِيَبْتَاعُوا قَمْحاً لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي كُلِّ الأَرْضِ.

٤٢ وَعِنْدَمَا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّ الْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ، قَالَ لأَبْنَائِهِ: «مَا بَالُكُمْ تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ ٢لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْقَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ. فَانْحَدِرُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا قَمْحاً لِنَبْقَى عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ وَلاَ نَمُوتَ». ٣فَذَهَبَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً مِنْ مِصْرَ، ٤أَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ.

٥فَقَدِمَ أَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْرَ مَعَ جُمْلَةِ الْقَادِمِينَ لِيَشْتَرُوا قَمْحاً، لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ قَدْ أَصَابَتْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَيْضاً. ٦وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الْمُتَسَلِّطَ عَلَى مِصْرَ، وَالْقَائِمُ عَلَى بَيْعِ الْقَمْحِ لأَهْلِهَا جَمِيعاً. فَأَقْبَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ. ٧فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَنَكَّرَ لَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِجَفَاءٍ وَسَأَلَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَأَجَابُوهُ: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً». ٨وَمَعَ أَنَّ يُوسُفَ عَرَفَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ.

٩ثُمَّ تَذَكَّرَ يُوسُفُ أَحْلاَمَهُ الَّتِي حَلُمَهَا بِشَأْنِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ، وَقَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ الْمَحْمِيَّةِ» ١٠فَقَالُوا لَهُ: «لاَ يَاسَيِّدِي إِنَّمَا قَدِمَ عَبِيدُكَ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ، ١١فَنَحْنُ كُلُّنَا أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». ١٢وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ! أَنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ الْمَحْمِيَّةِ» ١٣فَأَجَابُوهُ: «إِنَّ عَبِيدَكَ اثْنَا عَشَرَ أَخاً، أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُقِيمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَقَدْ بَقِيَ أَخُونَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ، وَالآخَرُ مَفْقُودٌ». ١٤فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ! أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ. ١٥وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَنْ تُغَادِرُوا هُنَا حَتَّى تَأْتُوا بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ، وَبِذَلِكَ تُثْبِتُونَ صِدْقَكُمْ. ١٦أَوْفِدُوا وَاحِداً مِنْكُمْ لِيَأْتِيَ بِأَخِيكُمْ، أَمَّا بَقِيَّتُكُمْ فَتَمْكُثُونَ فِي السِّجْنِ حَتَّى تَثْبُتَ صِحَّةُ كَلاَمِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ سِوَى جَوَاسِيسَ». ١٧وَطَرَحَهُمْ فِي السِّجْنِ مَعاً ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ.

١٨وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ قَالَ لَهُمْ: «افْعَلُوا مَا أَطْلُبُهُ مِنْكُمْ فَتَحْيَوْا، فَأَنَا رَجُلٌ أَتَّقِي اللهَ. ١٩إِنْ كُنْتُمْ حَقّاً صَادِقِينَ فَلْيَبْقَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ رَهِينَةً، بَيْنَمَا يَأْخُذُ بَقِيَّتُكُمُ الْقَمْحَ وَيَنْطَلِقُونَ إِلَى بُيُوتِكُمُ الْجَائِعَةِ. ٢٠وَلَكِنْ إِيتُونِي بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ فَأَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ مِنْ صِدْقِكُمْ وَلاَ تَمُوتُوا». فَوَافَقُوا عَلَى ذَلِكَ. ٢١وَقَالُوا: «حَقّاً إِنَّنَا أَذْنَبْنَا فِي حَقِّ أَخِينَا. لَقَدْ رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ عِنْدَمَا اسْتَرْحَمَنَا فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ. لِذَلِكَ أَصَابَتْنَا هَذِهِ الضِّيقَةُ» ٢٢فَقَالَ رَأُوبَيْنُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لاَ تَجْنُوا عَلَيْهِ فَلَمْ تَسْمَعُوا؟ وَالآنَ هَا نَحْنُ مُطَالَبُونَ بِدَمِهِ». ٢٣وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ كَانَ فَاهِماً حَدِيثَهُمْ، لأَنَّهُ كَانَ يُخَاطِبُهُمْ عَنْ طَرِيقِ مُتَرْجِمٍ. ٢٤فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَخَاطَبَهُمْ، وَأَخَذَ شِمْعُونَ وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ.

٢٥ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ مُوَظَّفِيهِ أَنْ يَمْلأُوا أَكْيَاسَهُمْ بِالْقَمْحِ، وَأَنْ يَرُدُّوا فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطُوهُمْ زَاداً لِلطَّرِيقِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ. ٢٦فَحَمَّلُوا حَمِيرَهُمُ الْقَمْحَ وَانْطَلَقُوا مِنْ هُنَاكَ. ٢٧وَحِينَ فَتَحَ أَحَدُهُمْ عِدْلَهُ فِي الْخَانِ لِيَعْلِفَ حِمَارَهُ، لَمَحَ فِضَّتَهُ لأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً فِي فَمِ الْعِدْلِ. ٢٨فَقَالَ لإِخْوَتِهِ: «لَقَدْ رُدَّتْ إِلَيَّ فِضَّتِي، انْظُرُوا هَا هِيَ فِي

عِدْلِي». فَغَاصَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَطَلَّعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مُرْتَعِدِينَ وَقَالُوا: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ اللهُ بِنَا؟».
٢٩وَعِنْدَمَا قَدِمُوا عَلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ قَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَقَالُوا:
٣٠«الرَّجُلُ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى مِصْرَ خَاطَبَنَا بِجَفَاءٍ، وَظَنَّ أَنَّنَا جَوَاسِيسُ عَلَى الأَرْضِ،
٣١فَقُلْنَا لَهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَسْنَا جَوَاسِيسَ. ٣٢نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَخاً أَبْنَاءُ أَبِينَا. أَحَدُنَا مَفْقُودٌ، وَالأَصْغَرُ بَقِيَ الْيَوْمَ مَعَ أَبِينَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. ٣٣فَقَالَ لَنَا الرَّجُلُ سَيِّدُ الْبِلاَدِ: لِكَيْ أَتَحَقَّقَ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخاً وَاحِداً مِنْكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً وَخُذُوا طَعَاماً لِبُيُوتِكُمُ الْجَائِعَةِ وَامْضُوا، ٣٤ثُمَّ أَحْضِرُوا لِي أَخَاكُمُ الأَصْغَرَ، وَبَذَلِكَ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ قَوْماً أُمَنَاءَ، فَأُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي الأَرْضِ». ٣٥وَإِذْ شَرَعُوا فِي تَفْرِيغِ عِدَالِهِمْ وَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِضَّتَهُ فِي عِدْلِهِ، وَمَا إِنْ رَأَوْا هُمْ وَأَبُوهُمْ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَبَدَّ بِهِمِ الْخَوْفُ.
٣٦فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «لَقَدْ أَثْكَلْتُمُونِي أَوْلاَدِي. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَهَا أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ بَنْيَامِينَ بَعِيداً! كُلُّ هَذِهِ الدَّوَاهِي حَلَّتْ بِي!» ٣٧فَقَالَ لَهُ رَأُوبَيْنُ: «اقْتُلِ ابْنَيَّ إِنْ لَمْ أَرْجِعْ بِهِ إِلَيْكَ. اعْهَدْ بِهِ إِلَيَّ وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ». ٣٨فَقَالَ: «لَنْ يَذْهَبَ ابْنِي مَعَكُمْ، فَقَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ بَاقٍ. فَإِنْ نَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَذْهَبُونَ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى قَبْرِي».
٤٣ وَتَفَاقَمَتِ الْمَجَاعَةُ فِي الأَرْضِ. ٢وَلَمَّا اسْتَهْلَكُوا الْقَمْحَ الَّذِي أَحْضَرُوهُ مِنْ مِصْرَ، قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ». ٣فَقَالَ يَهُوذَا: «لَقَدْ حَذَّرَنَا الرَّجُلُ أَشَدَّ تَحْذِيرٍ وَقَالَ: لَنْ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. ٤فَإِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ أَخَانَا مَعَنَا، نَمْضِي وَنَشْتَرِي لَكَ طَعَاماً ٥وَإِلاَّ فَلَنْ نَذْهَبَ لأَنَّ الرَّجُلَ قَالَ لَنَا: لاَ تَرَوْا وَجْهِي مَا لَمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ».
٦فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ فَأَخْبَرْتُمُ الرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخاً أَيْضاً؟» ٧فَأَجَابُوا: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ دَقَّقَ فِي اسْتِجْوَابِنَا عَنْ أَنْفُسِنَا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا سَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَجَبْنَاهُ حَسَبَ أَسْئِلَتِهِ. فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَقُولُ: أَحْضِرُوا أَخَاكُمْ إِلَى هُنَا؟ ».
٨وَقَالَ يَهُوذَا لإِسْرَائِيلَ أَبِيهِ: «أَرْسِلِ الْغُلاَمَ مَعِي فَنَقُومَ وَنَذْهَبَ فَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلاَدُنَا جَمِيعاً. ٩وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ. مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. فَإِنْ لَمْ أَرُدَّهُ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ أَمَامَكَ، أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ كُلَّ الأَيَّامِ. ١٠فَلَوْ لَمْ نَتَوَانَ فِي السَّفَرِ لَكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا مَرَّتَيْنِ».
١١فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَافْعَلُوا. وَخُذُوا مَعَكُمْ هَدِيَّةً لِلرَّجُلِ: وَامْلأُوا أَوْعِيَتَكُمْ مِنْ خَيْرِ جَنَى الأَرْضِ وَقَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ وَالْعَسَلِ وَالْكَثِيرَاءِ وَاللاَّذِنِ وَالْفُسْتُقِ وَاللَّوْزِ. ١٢وَخُذُوا مَعَكُمْ فِضَّةً أُخْرَى، وَالْفِضَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي أَفْوَاهِ عِدَالِكُمْ وَأَعِيدُوهَا. فَلَعَلَّ فِي الأَمْرِ سَهْواً. ١٣وَاسْتَصْحِبُوا مَعَكُمْ أَيْضاً أَخَاكُمْ وَقُومُوا ارْجِعُوا إِلَى الرَّجُلِ. ١٤وَلْيُنْعِمْ عَلَيْكُمُ اللهُ الْقَدِيرُ بِالرَّحْمَةِ لَدَى الرَّجُلِ، فَيُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ وَبَنْيَامِينَ أَيْضاً. وَأَنَا إِنْ ثَكِلْتُهُمَا، أَكُونُ قَدْ ثَكِلْتُهُمَا».
١٥فَأَخَذَ الرِّجَالُ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ، وَضِعْفَ الْفِضَّةِ، وَبَنْيَامِينَ، وَسَافَرُوا إِلَى مِصْرَ وَمَثُلُوا أَمَامَ يُوسُفَ. ١٦وَعِنْدَمَا شَاهَدَ يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ قَالَ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: «أَدْخِلِ الرِّجَالَ

إِلَى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْهَا، لأَنَّ هَؤُلاَءِ الرِّجَالَ سَيَتَنَاوَلُونَ مَعِي الطَّعَامَ فِي سَاعَةِ الْغَدَاءِ». ١٧فَفَعَلَ الرَّجُلُ كَمَا أَمَرَ يُوسُفُ، وَأَدْخَلَ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ.
١٨وَلَمَّا أُدْخِلُوا إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ اعْتَرَاهُمُ الْخَوْفُ وَقَالُوا: «لَقَدْ جِيءَ بِنَا إِلَى هُنَا لِيَهْجُمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَسْتَعْبِدَنَا وَيَسْتَوْلِيَ عَلَى حَمِيرِنَا، بِسَبَبِ الْفِضَّةِ الأُولَى الْمَرْدُودَةِ فِي عِدَالِنَا». ١٩فَتَقَدَّمُوا إِلَى مُدَبِّرِ بَيْتِ يُوسُفَ وَقَالُوا لَهُ عِنْدَ مَدْخَلِ الْبَابِ: ٢٠«اسْتَمِعْ يَاسَيِّدِي، لَقَدْ قَدِمْنَا إِلَى هُنَا فِي الْمَرَّةِ الأُولَى لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً، ٢١وَلَكِنَّنَا حِينَ نَزَلْنَا فِي الْخَانِ وَفَتَحْنَا عِدَالَنَا عَثَرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا عَلَى فِضَّتِهِ بِكَامِلِ وَزْنِهَا فِي فَمِ عِدْلِهِ، فَأَحْضَرْنَاهَا مَعَنَا لِنَرُدَّهَا. ٢٢وَجِئْنَا مَعَنَا بِفِضَّةٍ أُخْرَى لِنَشْتَرِيَ طَعَاماً. وَلَسْنَا نَدْرِي مَنْ وَضَعَ فِضَّتَنَا فِي عِدَالِنَا».
٢٣فَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ وَإِلَهَ أَبِيكُمْ قَدْ وَهَبَكُمْ كَنْزاً فِي عِدَالِكُمْ، أَمَّا فِضَّتُكُمْ فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيَّ». ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شِمْعُونَ. ٢٤وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَقَدَّمَ لَهُمْ مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَعَلِيقاً لِحَمِيرِهِمْ. ٢٥وَأَعَدُّوا الْهَدِيَّةَ فِي انْتِظَارِ مَجِيءِ يُوسُفَ عِنْدَ الظُّهْرِ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُمْ سَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ هُنَاكَ.
٢٦فَلَمَّا أَقْبَلَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي حَمَلُوهَا مَعَهُمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَانْحَنَوْا أَمَامَهُ إِلَى الأَرْضِ. ٢٧فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي أَخْبَرْتُمْ عَنْهُ بِخَيْرٍ؟ أَمَازَالَ حَيّاً؟» ٢٨فَأَجَابُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا بِخَيْرٍ، وَهُوَ مَازَالَ حَيّاً». وَانْحَنَوْا وَسَجَدُوا.
٢٩وَتَلَفَّتَ فَرَأَى أَخَاهُ الشَّقِيقَ بَنْيَامِينَ، فَقَالَ: «أَهَذَا أَخُوكُمُ الأَصْغَرُ الَّذِي أَخْبَرْتُمُونِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «لِيُنْعِمِ اللهُ عَلَيْكَ يَاابْنِي». ٣٠.وَانْدَفَعَ يُوسُفُ إِلَى مُخْدَعِهِ وَبَكَى هُنَاكَ لأَنَّ عَوَاطِفَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ.
٣١ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا الطَّعَامَ». ٣٢فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ مَعَهُ وَحْدَهُمْ، إِذْ أَنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ عِنْدَهُمْ. ٣٣فَجَلَسُوا فِي مَحْضَرِهِ، كُلٌّ وَفْقاً لِعُمْرِهِ، مِنَ الْبِكْرِ حَتَّى الصَّغِيرِ. فَنَظَرُوا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَبْهُوتِينَ. ٣٤وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ حِصَصاً مِنْ مَائِدَتِهِ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ خَمْسَةَ أَضْعَافِ حِصَصِ إِخْوَتِهِ. وَاحْتَفُّوا وَشَرِبُوا مَعَهُ.
٤٤ وَأَمَرَ يُوسُفُ مَدَبِّرَ بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ بِالطَّعَامِ بِقَدْرِ وُسْعِهَا، وَرُدَّ فِضَّةَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَى فَمِ عِدْلِهِ. ٢وَضَعْ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ كَأْسِيَ الْفِضِّيَّةَ وَثَمَنَ قَمْحِهِ». فَنَفَّذَ أَمْرَ يُوسُفَ. ٣وَمَا إِنْ أَشْرَقَ الصَّبَاحُ حَتَّى انْطَلَقَ الرِّجَالُ، هُمْ وَحَمِيرُهُمْ.
٤وَمَا كَادُوا يَبْتَعِدُونَ عَنِ الْمَدِينَةِ قَلِيلاً حَتَّى قَالَ يُوسُفُ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: «اسْعَ خَلْفَ الرِّجَالِ، وَمَا إِنْ تُدْرِكُهُمْ حَتَّى تَقُولَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُكَافِئُونَ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ ٥أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الْكَأْسُ الَّتِي يَشْرَبُ فِيهَا سَيِّدِي وَيَتَفَاءَلُ بِالْغَيْبِ؟ لَشَدَّ مَا أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ».
٦فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ، فَأَجَابُوهُ: ٧«لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ سَيِّدِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ؟ حَاشَا لِعَبِيدِكَ أَنْ يَرْتَكِبُوا هَذَا الأَمْرَ. ٨هُوَذَا الْفِضَّةُ الَّتِي عَثَرْنَا عَلَيْهَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا رَدَدْنَاهَا لَكَ مَعَنَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، فَكَيْفَ نَسْرِقُ فِضَّةً أَوْ ذَهَباً مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ؟ ٩مَنْ تَجِدْ مَعَهُ الْكَأْسَ مِنْ عَبِيدِكَ يَمُتْ، وَنَكُنْ نَحْنُ أَيْضاً عَبِيداً لِسَيِّدِي». ١٠.فَقَالَ: «فَلْيَكُنْ كَمَا تَقُولُونَ. فَالَّذِي أَجِدُهَا مَعَهُ يُصْبِحُ عَبْداً لِي، وَالْبَاقُونَ يَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ». ١١فَبَادَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى عِدْلِهِ وَحَطَّهُ عَلَى الأَرْضِ وَفَتَحَهُ، ١٢فَفَتَّشَ مُبْتَدِئاً مِنْ عِدْلِ الْكَبِيرِ حَتَّى

انْتَهَى إِلَى عِدْلِ الصَّغِيرِ، فَعَثَرَ عَلَى الْكَأْسِ فِي عِدْلِ بَنْيَامِينَ. ١٣فَمَزَّقُوا ثِيَابَهُمْ وَحَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ عِدْلَهُ عَلَى حِمَارِهِ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ.
١٤وَدَخَلَ يَهُوذَا وَإِخْوَتُهُ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ إِذْ كَانَ مَا بَرِحَ هُنَاكَ، فَارْتَمَوا أَمَامَهُ إِلَى الأَرْضِ. ١٥فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «أَيُّ جِنَايَةٍ اقْتَرَفْتُمْ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَسْتَخْدِمُ كَأْسَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ؟» ١٦فَقَالَ يَهُوذَا: «مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي، وَبِمَاذَا نُخَاطِبُهُ، وَكَيْفَ نُبَرِّيءُ أَنْفُسَنَا؟ إِنَّ اللهَ قَدْ فَضَحَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. فَنَحْنُ وَمَنْ عُثِرَ مَعَهُ عَلَى الْكَأْسِ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي». ١٧فَقَالَ: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؛ إِنَّمَا الرَّجُلُ الَّذِي عُثِرَ مَعَهُ عَلَى الْكَأْسِ هُوَ يَكُونُ لِي عَبْداً، أَمَّا أَنْتُمْ فَامْضُوا إِلَى أَبِيكُمْ بِأَمَانٍ».
١٨فَتَقَدَّمَ مِنْهُ يَهُوذَا وَقَالَ: «يَاسَيِّدِي، دَعْ عَبْدَكَ يَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ فِي مَسْمَعِ سَيِّدِي، وَلاَ يَحْتَدِمْ غَضَبُكَ عَلَى عَبْدِكَ، لأَنَّ سُلْطَتَكَ مُمَاثِلَةٌ لِسُلْطَةِ فِرْعَوْنَ. ١٩لَقَدْ سَأَلَ سَيِّدِي عَبِيدَهُ: أَلَكُمْ أَبٌ أَوْ أَخٌ؟ ٢٠فَأَجَبْنَا سَيِّدِي: لَنَا أَبٌ شَيْخٌ، وَابْنُ شَيْخُوخَةٍ صَغِيرٌ مَاتَ أَخُوهُ الشَّقِيقُ وَبَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ مِنْ أُمِّهِ، وَأَبُوهُ يُحِبُّهُ. ٢١فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: أَحْضِرُوهُ إِلَيَّ لأَرَاهُ بِعَيْنَيَّ. ٢٢فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لاَ يَقْدِرُ الْغُلاَمُ أَنْ يَتْرُكَ أَبَاهُ لِئَلاَّ يَمُوتَ أَبُوهُ إِذَا فَارَقَهُ.
٢٣فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: مَا لَمْ تُحْضِرُوا أَخَاكُمْ إِلَيَّ لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بَعْدُ. ٢٤فَعِنْدَمَا قَدِمْنَا عَلَى عَبْدِكَ أَبِي، أَخْبَرْنَاهُ بِحَدِيثِ سَيِّدِي. ٢٥فَقَالَ أَبُونَا: ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لَنَا بَعْضَ الطَّعَامِ.
٢٦فَأَجَبْنَا: لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ مَا لَمْ نَأْخُذْ أَخَانَا مَعَنَا، لأَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نُقَابِلَ الرَّجُلَ مَا لَمْ يَكُنْ أَخُونَا الصَّغِيرُ مَعَنَا. ٢٧فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبُونَا: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ زَوْجَتِي قَدْ أَنْجَبَتْ لِيَ ابْنَيْنِ، ٢٨فَقَدْتُ أَحَدَهُمَا وَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاساً. وَلَمْ أَرَهُ إِلَى الآنَ. ٢٩فَإِنْ أَخَذْتُمْ هَذَا مِنِّي، وَلَحِقَهُ مَكْرُوهٌ، تُنْزِلُونَنِي إِلَى الْقَبْرِ بِشَيْبَةٍ شَقِيَّةٍ. ٣٠فَإِذَا عُدْتُ إِلَى عَبْدِكَ أَبِي الَّذِي تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِنَفْسِ الْغُلاَمِ، وَلَمْ يَكُنِ الْغُلاَمُ مَعَنَا، ٣١وَرَأَى أَنَّ الْغُلاَمَ مَفْقُودٌ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ، وَيُوَارِي عَبِيدُكَ شَيْبَةَ عَبْدِكَ أَبِيهِمْ بِشَقَاءٍ فِي الْقَبْرِ.
٣٢لأَنَّ عَبْدَكَ ضَمِنَ الْغُلاَمَ لأَبِي، وَقُلْتُ: إِنْ لَمْ أُرْجِعْهُ إِلَيْكَ أَكُنْ مُذْنِباً إِلَيْكَ مَدَى الْحَيَاةِ. ٣٣فَأَرْجُو مِنْ سَيِّدِي أَنْ يَتَّخِذَنِي عَبْداً لَهُ بَدَلاً مِنَ الْغُلاَمِ، وَدَعِ الْغُلاَمَ يَمْضِي مَعَ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ، ٣٤إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَبِي وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعِي وَأَشْهَدَ مَا يَحِلُّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ؟».
٤٥ فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَتَمَالَكَ نَفْسَهُ أَمَامَ الْمَاثِلِينَ أَمَامَهُ، فَصَرَخَ: «لِيَخْرُجِ الْجَمِيعُ مِنْ هُنَا». فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَعَ يُوسُفَ حِينَ كَشَفَ عَنْ نَفْسِهِ لإِخْوَتِهِ. ٢وَبَكَى بِصَوْتٍ عَالٍ فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ كَمَا سَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. ٣وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ. فَهَلْ أَبِي مَازَالَ حَيّاً؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ لأَنَّهُمُ امْتَلأُوا رُعْباً مِنْهُ.
٤فَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «ادْنُوا مِنِّي». فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ، فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ. ٥فَلاَ تَتَأَسَّفُوا الآنَ، وَلاَ يَصْعُبْ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لأَنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي أَمَامَكُمْ حِفَاظاً عَلَى حَيَاتِكُمْ. ٦فَقَدْ صَارَ لِلْمَجَاعَةِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ سَنَتَانِ، وَبَقِيَتْ خَمْسُ سَنَوَاتٍ لَنْ يَكُونَ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. ٧وَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ أَمَامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَيُنْقِذَ حَيَاتَكُمْ بِخَلاَصٍ عَظِيمٍ. ٨فَلَسْتُمْ إِذاً أَنْتُمُ الَّذِينَ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ ، الَّذِي جَعَلَنِي مُسْتَشَاراً لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّداً لِكُلِّ بَيْتِهِ، وَمُتَسَلِّطاً عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ. ٩فَأَسْرِعُوا وَارْجِعُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: ابْنُكَ يُوسُفُ يَقُولُ: لَقَدْ أَقَامَنِي اللهُ سَيِّداً عَلَى كُلِّ مِصْرَ. تَعَالَ وَلاَ تَتَبَاطَأْ. ١٠فَتُقِيمَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ لِتَكُونَ قَرِيباً مِنِّي

أَنْتَ وَبَنُوكَ وَأَحْفَادُكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَالِكَ. ١١وَأَعُولُكَ هُنَاكَ لأَنَّ الْجُوعَ سَيَسْتَمِرُّ خَمْسَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى، فَلاَ تَحْتَاجُ أَنْتَ وَعَائِلَتُكَ وَبَهَائِمُكَ. ١٢وَهَا أَنْتُمْ وَأَخِي بِنْيَامِينُ شُهُودٌ أَنَّنِي أَنَا حَقّاً الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ. ١٣وَتُحَدِّثُونَ أَبِي عَنْ كُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَعَمَّا شَهِدْتُمُوهُ. وَتُسْرِعُونَ فِي إِحْضَارِ أَبِي إِلَى هُنَا».
١٤ثُمَّ تَعَانَقَ يُوسُفُ وَبِنْيَامِينُ وَبَكَيَا ١٥وَقَبَّلَ يُوسُفُ بَاقِي إِخْوَتِهِ وَبَكَى مَعَهُمْ. وَعِنْدَئِذٍ فَقَطْ تَجَرَّأَ إِخْوَتُهُ عَلَى مُخَاطَبَتِهِ.
١٦وَسَرَى الْخَبَرُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَقِيلَ قَدْ جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ، فَسَرَّ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ، وَعَبِيدَهُ أَيْضاً. ١٧وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «اطْلُبْ مِنْ إِخْوَتِكَ أَنْ يُحَمِّلُوا دَوَابَّهُمْ بِالْقَمْحِ وَيَرْجِعُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، ١٨لِيُحْضِرُوا أَبَاهُمْ وَأُسَرَهُمْ وَيَجِيئُوا إِلَيَّ، فَأُعْطِيَهُمْ أَفْضَلَ أَرْضِ مِصْرَ لِيَسْتَمْتِعُوا بِخَيْرَاتِهَا. ١٩وَقَدْ صَدَرَ أَمْرٌ إِلَيْكَ أَنْ يَأْخُذُوا لَهُمْ عَرَبَاتٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَنْقُلُوا عَلَيْهَا أَوْلاَدَهُمْ وَزَوْجَاتِهِمْ وَأَبَاهُمْ وَيَحْضُرُوا إِلَى هُنَا. ٢٠لاَ يَكْتَرِثُوا لِمَا يُخَلِّفُونَهُ مِنْ مَتَاعٍ، فَخَيْرَاتُ أَرْضِ مِصْرَ كُلُّهَا هِيَ لَهُمْ».

***

## ٣ ـ النص كما ذكر في كتب التاريخ الاسلامي :

يجمع هذا النص المأخوذ من تاريخ الطبري بين النص الاسلامي والنص اليهودي وما اضيف لهما مما تداولته السنة القصاصين المسلمين الذين سمع عنهم الطبري ، والذين كانوا قد سمعوا كل تلك الاضافات – ان كان ذلك في فترة النبوية او قبلها – مما كان يدور بين الناس .

((كان يعقوب حين ولدله يوسف قد كان حضنه عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيئا من الاشياء حبها إياه حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ووقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال يا أخية سلمى إلى يوسف فو الله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة * قالت فو الله ما أنا بتاركته قال فوالله ما أنا بتاركه قالت فدعه عندي أياما انظر إليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلينى عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لى لسلم أصنع فيه ما شئت قال وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ( إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ) فلما رأت اخوة يوسف شدة حب والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلة صبره عنه حسدوه على مكانه منه وقال بعضهم لبعض ( ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ) يعنون بالعصبة الجماعة وكانوا عشرة ( إن أبانا لفى ضلال مبين ) ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قص الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألتهم إياه إرساله إلى الصحراء معهم ليعى وينشط ويلعب وضمانهم له حفظه وإعلام يعقوب إياهم حزنه بمغيبه عنه وخوفه عليه من الذئب وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ثم ارساله معهم وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الجب فكان من أمره أرسله يعنى يعقوب يوسف معهم فأخرجوه وبه عليهم

كرامة فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لم تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه فجعل يصيح قال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك قال إنى لم أر شيئا فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها القوة إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها فلما ألقوه في الجب جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم وقال قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه وكان يهوذا يأتيه بالطعام ثم أخبر تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو في الجب لينبئن اخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحى الذى أوحى إلى يوسف وأوحينا إليه لتنبئنهم بامرهم هذا قال أوحى إلى يوسف وهو في الجب أن ينبئهم بما صنعوا به وهم لا يشعرون بذلك الوحى .

خبره تعالى عن اخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاء يبكون يذكرون له أن يوسف أكله الذئب وقول والدهم ( بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ) ثم خبره جل جلاله عن مجئ السيارة وإرسالهم واردهم وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله ( يا بشراى هذا غلام ) يبشرهم * يا بشراى هذا غلام تباشروا به حين أخرجوه وهى بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها * وقد قيل إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبا له يسمى بشرى فناداه * باسمه الذى هو اسمه كذلك ذكر عن السدى * في قوله يا بشراى هذا غلام قال اسم الغلام بشرى كما تقول يا زيد * ثم خبره عزوجل عن السيارة وواردهم الذى استخرج يوسف من الجب إذ اشتروه من اخوته ( بثمن بخس دراهم معدودة ) على زهد فيه واسرارهم إياه بضاعة خيفة ممن معهم من التجار مسئلتهم الشركة فيه إن هم علموا أنهم اشتروه كذلك قال في ذلك أهل التأويل * ( وأسروه بضاعة ) قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لاصحابهم إنا استبضعناه خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه وتبعهم اخوته يقولون للمدلى وأصحابه استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعني وببشر فاشتراه الملك والملك مسلم * لما اشتراه الرجلان فرقوا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه فيسئلوهم الشركة فيه فقالوا إن سألونا ما هذا قلنا بضاعة اسبضعناها أهل الماء فذلك قوله وأسروه بضاعة * فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام وقيل أنهم باعوه بعشرين درهما ثم اقتسموها وهم عشرة درهمين درهمين وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن لان الدراهم حينئذ فيما قيل إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهما لم تكن توزن لان أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية وقد قيل إنهم باعوه بأربعين درهما وقيل باعوه باثنين وعشرين درهما وذكر أن بائعه الذى باعه بمصر كان مالك بن دعر ابن بويب بن عفقان بن مديان بن ابراهيم الخليل عليه السلام * وأما الذى اشتراه بها وقال لامرأته أكرمي مثواه فإن اسمه فيما ذكر عن ابن عباس قطين * عن ابن عباس قال كان اسم الذى اشتراه قطفير وقيل إن

اسمه أطفير ابن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق كذلك.

فاما غيره فإنه قال كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة ابن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وقد قال بعضهم إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه * ثم مات ويوسف بعد حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام * وكان كافرا فدعاه يوسف إلى الاسلام فأبى أن يقبل وذكر بعض أهل التوراة أن في التوراة أن الذى كان من أمر يوسف واخوته والمصير به إلى مصر وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ وأنه أقام في منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر الوليد بن الريان وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنينوأوصى إلى أخيه يهوذا وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة وان مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام وكان دخول يعقوب مصر في سبعين انسانا من أهله فلما اشترى أطفير يوسف وأتى به منزله قال لاهله واسمها راعيل ( أكرمي مثوا ، عسى أن ينفعنا ) فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الامور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا ( أو نتخذه ولدا ) وذلك أنه كان فيما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق رجلا لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزوجل الحكم والعلم * ( آتيناه حكما وعلما ) قال العقل والعلم قبل النبوة ( وراودته ) حين بلغ من السن أشده ( التى هو في بيتها عن نفسه ) وهى راعيل امرأة العزيز أطفير ( وغلقت الابواب ) عليه وعليها الذى أرادت منه وجعلت فيما ذكر تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها ذكر من قال ذلك * ( ولقد همت به وهم بها ) قال قالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل إلى إلى الارض من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها فدخلا البيت وغلقت الابواب وذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت قد عض على أصبعه يقول يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات وقع في الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم يواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله وذهب ليخرج يشتد فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب * عن ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الحائز * ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من السوء بما رأى من البرهان الذى أراه الله فذلك فيما قال بعضهم صورة يعقوب عاضا على أصبعه وقال بعضهم بل نودى من جانب البيت أتزني فتكون

كالطير وقع ريشه فذهب يطير ولا ريش له وقال بعضهم رأى في الحائط مكتوبا ( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ) فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد باب البيت فرارا مما أرادته منه وأتبعته راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب فجذبته بقميصه من قبل ظهره فقدت قميصه وألفى يوسف وراعيل سيدها وهو زوجها أطفير جالسا عند الباب مع ابن عم لراعيل * وألفيا سيدها لدا الباب قال كان جالسا عند الباب وابن عمها معه فلما رأته قالت ( ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ) إنه راودني عن نفسي فدفعته عن نفسي فأبيت فشققت قميصه قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني فشقت قميصي فقال ابن عمها تبيان هذا في القميص فإن كان القميص قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان القميص قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين فأتى بالقميص فوجده قدمن دبر قال ( إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ) قال ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال فغضب وقال هي راودتني عن نفسي * وقد اختلف في الشاهد الذى شهد من أهلها إن كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين فقال بعضهم ما ذكرت عن السدى وقال بعضهم كان صبيا في المهد وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف * عن ابن عباس قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم * وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقده من دبره ذكر بعض من قال ذلك * ( وشهد شاهد من أهلها ) قال قميصه مشقوق من دبره فتلك الشهادة فلما رأى زوج المرأة قميص يوسف قد من دبر قال لراعيل زوجته إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ثم قال ليوسف أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكتم وقلن ( امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ) قد وصل حب يوسف إلى شغف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها وشغاف القلب غلافه وحجابه * ( قد شغفها حبا ) قال فالشغاف جلدة على القلب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثهن بينهن بشأنها وشأن يوسف وبلغها ذلك أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائد وحضرنها فقدمت اليهن طعاما وشرابا وأترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا تقطع به الاترج * ( وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا ) قال اعطتهن أترجا واعطت كل واحدة منهن سكينا فلما فعلت امرأة العزيز ذلك بهن وقد أجلست يوسف في بيت ومجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس قالت ليوسف ( أخرج عليهن ) فخرج يوسف عليهن فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه وقطعن أيديهن بالسكاكين التى في أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الاترج وقلن معاذ الله ما هذا إنس ( إن هذا إلا ملك كريم ) فلما حل بهن ما حل من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرنها إلى يوسف وذهاب عقولهن وعرفتهن خطأ قيلهن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وانكارهن ما أنكرن من أمرها أقرت

عند ذلك لهن بما كان من مراودتها اياه على نفسها فقالت ( فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ) بعد ما حل سراويله * قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم * تقول بعد ما حل السراويل استعصم لا أدرى ما بدا له ثم قالت لهن ( ولئن لم يفعل ما آمره ) من إتيانها ( ليسجنن وليكونا من الصاغرين ) فاختار صلى الله عليه وسلم السجن على الزنا ومعصية ربه فقال ( رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه ) * السدى قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه من الزنا واستغاث بربه عزوجل فقال ( وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ) فاخبر الله عزوجل انه استجاب له دعاءه فصرف عنه كيدهن ونجاه من ركوب الفاحشة ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قد القميص من الدبر وخمش في الوجه وقطع النسوة ايديهن وعلمه ببراءة يوسف مما قرف به في ترك يوسف مطلقا وقد قيل ان السبب الذى من أجله بدا له في ذلك ( ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال قالت المرأة لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه ولست أطيق ان أعتذر بعذري فاما ان تأذن لى فاخرج فاعتذر وإما ان تحبسه كما حبستنى فذلك قول الله عزوجل " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين " فذكر أنهم حبسوه سبع سنين ذكر من قال ذلك * ليسجننه حتى حين قال سبع سنين فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز أدخل معه السجن الذى حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الاكبر وهو الوليد بن الريان أحدهما كان صاحب طعامه والآخر كان صاحب شرابه * حبسه الملك وغضب على خبازه بلغه انه يريد أن يسمه فحبسه وحبس صاحب شرابه ظن انه مالاه على ذلك فحبسهما جميعا فذلك قول الله عزوجل ودخل معه السجن فتيان فلما دخل يوسف قال لما دخل يوسف السجن قال انى اعبر الاحلام فقال احد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا فقال الخباز ( إنى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا ياكل الطير منه ) ( وقال الآخر إنى أرانى أعصر خمرا ) ( نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ) فقيل كان إحسانه ما حدثنا به اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال سأل رجل الضحاك عن قوله " انا نراك من المحسنين " ما كان احسانه قال كان إذا مرض انسان في السجن قام عليه وإذا احتاج جمع له وإذا ضاق عليه المكان وسع له فقال لهما يوسف ( لا يأتيكما طعام ترزقانه - في يومكما هذا - إلا نبأتكما بتأويله ) في اليقظة وكره صلى الله عليه وسلم ان يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ في غير الذى سألا عنه لما في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال ( يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ) فكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلا السجن محلب وهو الذى ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزا واسم الآخر نبو وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمرا فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألا عنه فقال ( أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ) وهو الذى ذكر انه رأى كأنه يعصر خمرا ( وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ) فلما عبر لهما سألاه تعبيره قالا ما رأينا شيئا * في الفتيين اللذين أتيا يوسف في الرؤيا إنما كانا تحالما

ليختبراه فلما أول رؤياهما قالا انما كنا نلعب قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذى ظن يوسف أنه ناج منهما اذكرني عند ربك يعنى عند الملك فأخبره أنى محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان * قال قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قال قيل يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لا طيلن حبسك قال فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة فويل لاخوتي * عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يوسف يعنى الكلمة التى قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله عزوجل فلبث في السجن فيما حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعانى قال سمعت وهبا يقول أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين . ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته * إن الله عزوجل أرى الملك في منامه رؤيا هالته فرأى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والقافة فقصها عليهم فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الا حلا بعالمين فقال الذى نجا من الفتيين وهو نبو ادكر حاجة يوسف بعد أمة يعنى بعد نسيان أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يقول فأطلقون فأرسلوه فأتى يوسف فقال أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خصر وأخر يابسات فان الملك رأى ذلك في نومه * لم يكن السجن في المدينة فانطلق الساقى إلى يوسف فقال أفتنا في سبع بقرات سمان الآيات * أفتنا في سبع بقرات سمان فالسمان المخاصيب والبقرات العجاف هن السنون المحول الجدوب قوله ( وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ) أما الخضر فهن السنون المخاصيب وأما اليابسات فهن الجدوب المحول فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك أتى نبو الملك فأخبره بما قال له يوسف فعلم الملك أن الذى قال يوسف من ذلك حق قال ائتونى به لما أتى الملك رسوله فأخبره قال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك أبى يوسف الخروج معه وقال ( ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم ) لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذى راود امرأتي فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة فقال لهن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن لما قال الملك لهن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ودخل معها البيت فقالت امرأة العزيز حينئذ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين فقال يوسف ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ترديدي رسول الملك بالرسالات التى أرسلت في شأن النسوة ليعلم اطفير سيدى أنى لم أخنه بالغيب في زوجته راعيل وأن الله لا يهدى كيد الخائنين فلما قال ذلك يوسف قال له لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين قال فقال له حبرائيل ولا يوم هممت بها فقال وما أبرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء فلما تبين

للملك عذر يوسف وأمانته قال ائتونى به أستخلصه لنفسي فلما أتى به وكلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض * اجعلني على خزائن الارض قال كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام فسلم سلطانه كله إليه وجعل القضاء إليه أمره وقضاؤه نافذ * قوله اجعلني على خزائن الارض قال على حفظ الطعام إنى حفيظ عليم يقول إنى حفيظ لما استودعتني عليم بسنى المجاعة فولاه الملك ذلك * لما قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض إنى حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيما يذكرون عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله تبارك وتعالى ( وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحنسين ) قال فذكر لى والله أعلم ان اطفير هلك في تلك الليالى وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمني فانى كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء وأصابها فولدت له رجلين افرابيم بن يوسف وميشا بن يوسف * " وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء " قال استعمله الملك على مصر وكان صاحب أمرها وكان يلى البيع والتجارة وأمرها كله فذلك قوله " وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء " فلما ولى يوسف للملك خزائن أرضه فاستقر به القرار في عمله ومضت السنون السبع المخصبة التى كان يوسف أمر بترك ما في سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ودخلت السنون المجذبة وقحط الناس أجدبت بلاد فلسطين فيما أجدب من البلاد ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذى كانوا فيه فوجه يعقوب بنيه * أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه إلى مصر وأمسك أخا يوسف بنيامين فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون فلما نظر إليهم قال اخبروني ما أمركم فإنى أنكر شأنكم قالوا نحن قوم من أرض الشأم قال فما جاء بكم قالوا جئنا نمتار طعاما قال كذبتم أنتم عيون كم أنتم قالوا عشرة قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم ألف فأخبروني خبركم قالوا إنا إخوة بنو رجل صديق وإنا كنا اثنى عشر وكان أبو نا يحب أخا لنا وإنه ذهب معنا البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا قال فإلى من سكن أبو كم بعده قالوا إلى أخ لنا أصغر منه قال فكيف تخبروننى أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ائتونى بأخيكم هذا حتى أنظر إليه فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون * قال فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون * كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم فكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فقدم عليه إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف مما أراد ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيره فقال لهم ائتونى بأخيكم من أبيكم لا حمل لكم بعيرا آخر فتزدادوا به حمل بعير ألا ترون أنى أوف الكيل فلا أبخسه أحدا وأنا خير المنزلين وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من

الناس بهذه البلدة فأنا أضيفكم فإن لم تأتوني بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله ولا تقربوا بلادي وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم اجعلوا بضاعتهم وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به في رحالهم * اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أي ورقهم فجعلوا ذلك في رحالهم وهم لا يعلمون فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم قالوا يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وإنه ارتهن شمعون وقال ائتونى بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبو كم بعد أخيكم الذى هلك فإن لم تأتوني به فلاكيل لكم عندي ولا تقربوني أبدا قال يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين قال فقال لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فأقرؤه منى السلام وقولوا له إن أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا * خرجوا حتى إذا قدموا على أبيهم وكان منزلهم فيما ذكرني بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين بغور الشأم وبعضهم يقول بالاولاج من ناحية الشغب أسفل من حسمى فلسطين وكان صاحب بادية له ابل وشاء فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له أبانا منع منا الكيل فوق حمل أباعرنا ولم يكل لكل واحد منا إلاكيل بعير فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه وإنا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذى قدموا به من مصر وجدوا ثمن طعامهم الذى اشتروه به رد إليهم فقالوا الوالدهم ( يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ) آخر على أحمال إبلنا * ونزداد كيل بعير قال كان لكل رجل منهم حمل بعير فقالوا أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير * فقال يعقوب ( لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ) يقول إلا أن تهلكوا جميعا فيكون حينئذ ذلك لكم عذرا عندي فلما وثقوا له بالايمان قال يعقوب ( الله على ما نقول وكيل ) ثم أوصاهم بعد ما أذن لاخيهم من أبيهم بالرحيل معهم أن لا تدخلوا من باب واحد من أبو اب المدينة خوفا عليهم من العين وكانوا ذوى صورة حسنة وجمال وهيئة وأمرهم أن يدخلوا من أبو اب متفرقة ( وادخلوا من أبو اب متفرقة ) قال كانوا قد أوتوا صورة وجمالا فخشى عليهم أنفس الناس فقال الله تعالى ( ولما دخلوا من حيث أمرهم أبو هم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ) ما تخوف على أولاده اعين الناس لهيئتهم وجمالهم * ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لابيه وأمه ( ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ) قال عرف أخاه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال لينم كل أخوين منكم على مثال فلما بقى الغلام وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشي فبات معه فجعل يوسف يشم ريحه ويضمه إليه حتى أصبح وجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه * لما دخلوا يعنى ولد يعقوب على يوسف قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك فذكر لى أنه قال لهم قد أحسنتم وأصبتم وستجدون جزاء ذلك عندي أو كما قال ثم قال إنى أراكم رجالا وقد أردت أن أكرمكم فدعا صاحب ضيافته فقال أنزل كل رجلين على حدة ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ثم قال إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان فسأضمه إلى فيكون منزله معى فأنزلهم رجلين

رجلين في منازل شتى وأنزل أخاه معه فآواه إليه فلما خلا به قال إنى أنا أخوك أنا يوسف لا تبتئس بشئ فعلوه بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن الينا فلا تعلمهم شيئا مما أعلمتك قول الله عزوجل ( ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ) يقول له فلا تبتئس فلا تحزن فلما حمل يوسف ابن اخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم جعل الاناء الذى كان يكيل به الطعام وهو الصواع في رحل أخيه بنيامين * ( فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أحيه ) والاخ لا يشعر فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير إنكم لسارقون * حمل لهم بعيرا بعيرا وحمل لاخيه بنيامين بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم أمر بسقاية الملك وهو الصواع وزعموا أنها كانت من فضة فجعلت في رحل أخيه بنيامين ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية أمر بهم فأدركوا واحتبسوا ثم نادى مناد أيتها العير إنكم لسارقون وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ونحسن منزلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم وأدخلناكم علينا في بيوتنا وصار لنا علكيم حرمة أو كما قال لهم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولايتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وكان مجاهد يقول كانت العير حميرا * وكان فيما نادى به منادى يوسف من جاء بصواع الملك فله حمل بعير من الطعام وأنا بإيفائه ذلك زعيم يعنى كفيل وإنما قال القوم لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانهم ردوا ثمن الطعام الذى كان كيل لهم المرة الاولى في رحالهم فردوه إلى يوسف فقالوا لو كنا سارقين لم نردد ذلك اليكم وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم فلذلك قالوا ذلك * فقيل لهم فما جزاء من كان سرق ذلك فقالوا جزاؤه في حكمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى من سرقه حتى يسترقه * قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه تأخذونه فهو لكم فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لانه أخر تفتيشه * ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قرفهم به حتى بقى أخوه وكان أصغر القوم قال ما أرى هذا أخذ شيئا قالوا بلى فاستبرئه إلا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يعنى في حكم الملك ملك مصر وقضائه لانه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق السارق بما سرق ولكنه أخذه بكيد الله له حتى اسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم * ما كان ليأخذ أخاه في دين إلا بعلة كادها الله له فاعتل بها يوسف فقال أخوة يوسف حينئذ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون بذلك يوسف * وقد قيل إن يوسف كان سرق صنما لجده أبى أمه فكسره فعيروه بذلك ذكر من قال ذلك * إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده أبى أمه فكسره وألقاه في الطريق فكان اخوته يعيبونه بذلك * وقد حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن إدريس قال سمعت أبى قال كان بنو يعقوب على طعامه إذ نظر يوسف إلى عرق فحبأه فعيروه بذلك إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسر في نفسه يوسف حين سمع ذلك منه فقال ( أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ) به أخا بنيامين من الكذب ولم يبد ذلك لهم قولا * لما استخرجت السرقة من رحل الغلام

انقطعت ظهورهم وقالوا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية وضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع الدراهم في رحالهم فقالوا لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قال فسجد ليوسف ثم قال ايها الملك سل صواعك هذا عن اخى اين هو فنقره ثم قال هو حى وسوف تراه قال فاصنع بى ما شئت فإنه ان علم بى فسوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ثم خرج فقال بنيامين ايها الملك إنى اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحلى ؟ فنقره فقال ان صواعي هذا غضبان وهو يقول كيف تسألني من صاحبي فقد رأيت مع من كنت قالوا وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لتتركنا أو لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه ثم إلى جنب روبيل فمسه وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله قال يوسف أنت إذن إن كنت صادقا قال ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين فصار بحكم إخوته أولى به منهم ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى تخليصه صاروا إلى مسئلته تخليته ببذل منهم يعطونه إياه فقالوا ( يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ) في أفعالك فقال لهم يوسف ( معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا الظالمون ) أن نأخذ بريئا بسقيم فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه خلصوا نجيا لا يفترق منهم أحد ولا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو روبيل وقد قيل إنه شمعون ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله أن نأتيه بأخينا بنيامين الا أن يحاط بنا أجمعين ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض التى أنابها حتى ياذن لى أبى في الخروج منها وترك أخى بنيامين بها أو يحكم الله لى بذلك وهو خير الحاكمين وقد قيل معنى ذلك أو يحكم الله لى بحرب من منعنى من الانصراف بأخى ( ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ) فأسلمناه بجريرته ( وما شهدنا إلا بما علمنا ) لان صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ( وما كنا للغيب حافظين ) يعنون بذلك أنا انما ضمنا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه سبيل ولم نكن نعلم أنه يسرق فيسترق بسرقته واسأل أهل القرية التى كنا فيها فسرق ابنك فيها والقافلة التى كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك فانك تخبر بحقيقة ذلك فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين وتخلف روبيل قال لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه فصبر جميل لا جزع فيه على ما نالنى من فقد ولدى عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وأخيه وروبيل ثم أعرض عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف * يقول الله عزوجل " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قول ذلك تالله

لا تزال تذكر يوسف فلا تفتؤ من حبه وذكره حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل من حبه وذكره هرما باليا أو تموت فأجابهم يعقوب فقال إنما أشكو بثى وحزني إلى الله لا اليكم وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف أن تأويلها كائن وأنى وأنتم سنسجد له * قيل ما بلغ وجد يعقوب على ابنه قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد قال وما ساء ظنه بالله ساعة قط من ليل ولانهار * أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له فقال يا يعقوب مالى أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبو ك قال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره فأوحى الله عزوجل إليه يا يعقوب اتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال فانى قد غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثى وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره قال الحسن والله ما على الارض خليفة أكرم على الله من يعقوب * ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه فقال لهم اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله يفرج به عنا وعنكم الغم الذى نحن فيه فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاؤا بها معهم فيما ذكر دراهم رديئة زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وكان بعضهم يقول كانت حلق الغرائر والحبال ونحو ذلك وقال بعضهم كانت سمنا وصوفا وقال بعضهم كانت صنوبرا وحبة الخضراء وقال بعضهم كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويوفيهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم في المرتين قبل ذلك ولا ينقصهم فقالوا له فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين * وتصدق علينا قال بفضل ما بين الجياد والردية وقد قيل إن معنى ذلك وتصدق علينا برد أخينا إلينا إن الله يجزى المتصدقين * ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم منهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ) ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له ها أنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بأن جميع بيننا بعد تفريقكم بيننا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين * لما قال لهم يوسف أنا يوسف وهذا أخى اعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لهم يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه * قال يوسف ما فعل أبى بعدى قالوا لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير عير بنى يعقوب قال يعقوب إنى لاجد ريح يوسف * استأذنت بأن تأتى يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ففعلت فقال يعقوب إنى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون * " ولما فصلت العير قال أبو هم إنى لاجد ربح يوسف " قال هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من

مسيرة ثمان ليال فقال إنى لاجد ريح يوسف لو لا أن تفندونى * قوله إنى لاجد ريح يوسف قد بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا وقال إنى لاجد ريح يوسف وقد كان فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة ويعنى بقوله لولا أن تفندونى لولا أن تسفهونى فتنبسونى إلى الهرم وذهاب العقل فقال له من حضره من ولده حينئذ تالله إنك من ذكر يوسف وحبه لفى ضلالك القديم يعنون في خطئك القديم * فلما أن جاء البشير يعنى البريد الذى أبرده يوسف إلى يعقوب يبشره بحياة يوسف وخبره وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب * قال يوسف اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليوم بالقميص فاخبره بانه حى فأقر عينه كما أحزنته فهو كان البشير فلما أن جاء البشير يعقوب بقميص يوسف ألقاه على وجهه فعاد بصيرا بعد العمى فقال لاولاده ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون وذلك أنه كان قد علم من صدق تأويل رؤيا يوسف التى رآها أن الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون ما لم يكونوا يعلمون فقالوا ليعقوب يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين فقال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قيل إنه أخر الدعاء لهم إلى السحر وقيل انه أخر ذلك إلى ليلة الجمعة * قال حملوا إليه أهليهم وعيالهم فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم فلما بلغوا مصر قال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبو يه * لما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيرا وقال ائتونى باهلكم أجمعين فحمل يعقوب وإخوة يوسف فلما دنا يعقوب أخبر يوسف انه قد دنا منه فخرج يتلقاه قال وركب معه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا قال فنظر يعقوب إلى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر فقال لا ، هذا ابنك يوسف قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأه بالسلام فمنع ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما أن دخلوا مصر رفع أبو يه على السرير وأجلسهما عليه وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش وأجلسهما عليه فقال بعضهم كان أحدهما أبو ه يعقوب والآخر أمه راحيل وآخرون بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك وخر له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجدا * وخروا له سجدا قال كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض وقال يوسف لابيه يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقا يعنى بذلك هذا السجود منكم يدل على تأويل رؤياي التى رأيتها من قبل صنع إخوتى بى ما صنعوا وتلك الكواكب الاحدى عشرة والشمس والقمر قد جعلها ربى حقا يقول قد حقق الرؤيا بمجئ تأويلها وقيل بين ان أرى يوسف رؤياه هذه ومجئ تأويلها أربعون سنة ذكر بعض من قال ذلك * كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة * وقال بعضهم كان بين ذلك ثمانون سنة ذكر بعض من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه وما على الارض يومئذ احب إلى الله عزوجل من يعقوب * ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان بين ذلك

وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة)) . (٢)

***

## ٤ ـ النص بأسلوب سردي ورؤيا صوفية :

ترك لنا الابداع العربي القديم نصا لقصة يوسف مازج بين النص القرآني والنص الخرافي وبأسلوب صوفي خاصة اللغة المركزة والكثيفة التي استخدمت في توصيل النص للقاريء المسلم .

ان الالية التي كتبت فيه هذا النص هو الية التناص ، اذ نرى ان النص يتناص مع مرجعه وهو النص القرآني ، دون الاخذ بالزيادات التي رافقته بعد نزول القرآن .

فضلا عن ذلك كان للشعر دور كبير في اعطاء النص ظلاله الدلالية الواسعة .

(( لما تمكن الحسد من قلوب أخوة يوسف ـ ارى الظالم مال الظالم ـ في مرآة: ـ **إني رأيت أحد عشر كوكبا**ـ فتلطفوا بخداع ـ **ما لك لا تأمنا** ـ وشوقوا يوسف إلى رياض ـ **نرتع ونلعب**ـ فلما أصحروا أظهروا المقت له ورموا بسهم العدوان مقتله ففسخ نهار رفقهم به ليل انتهارهم له فصاح يهودا في بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة الحب :ـ**لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب** ـ فلما ألقوه وقالوا هلك جاء ملك من عند ملك يقول : ستبلغ أملك لتنبئهم، فعادوا عمن عادوا كالأعشى عشاء يبكون ولطخوا قميصه الصحيح ـ **بدم كذب** ـ فلاحت علامة سلامة القميص كي يظهر كيدهم ، فقال حاكم الفراسة: ـ **بل سولت** ـ فلما ورد **وارد السيارة** باعوا الصدفة ولم يتلمحوا الدرة واعجبا لقمر قومر به، فلما وصل إلى مصر تفرس فيه العزيز فأجلسه على اعزاز ـ **أكرمي** ـ **فشغف** قلب سيدته وفرى – **فراودته**ـ فسار بأقدام الطبع في فلاة غفلات ـ **همت به وهم بها**ـ رد ـ **لولا أن رأى**ـ فانقذ قوى الفرار وما استبقى فاستبقا ، فانبسطت يد العدوان وامتدت وقدت، فلما بانت حجته في ابان ـ **وشهد شاهد**ـ أخذت تزكي مصراة الإصرار بيمين يمين، **ولئن لم يفعل** ، فاختارت درة فهمه صدفة الحبس لجهل الناقد ـ **رب السجن أحب إلي** ـ فلما ضاق قفص الحصر على بلبل الطبع ترنم بصوت اذكرني، فعوقب بإيثاق باب، **فلبث في السجن** فلما آن أوان الفرج خرج إلى الملك .هذا ويعقوب مفترش فراش الأسى على حزن الحزن لا يستلذ نوما ولا سنة ثمانين سنة حتى نحل البدن وذهب البصر.

**لم يبق لي بعدكم رسم ولا طلل إلا وللشوق في حافاته عمل**
**إذا شممت نسيما من بلادكم فقدت عقلي كأني شارب ثمل**

فلما عم عام القحط أرض كنعان خرج أخوته لطلب الميرة فدخلوا عليه في ظلام ظلمهم فرآهم المظلوم بعين ـ **لتنبئنهم** ـ وخفى عليهم نعمة ـ **اقتلوا يوسف** ـ فاقبل عليهم سائلا ، واقبل الدمع سايلا وتقلقل تقلقل الواجد ليسمع أخبار الوالد

**أيه أحاديث نعمان وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمار**
**أفتش الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء معطار**

فقالوا: جئنا من أرض كنعان ولنا شيخ يقال له يعقوب وهو يقرأ عليه السلام.

فلما سمع رسالة أبيه انتفض طائر الوجد لذكر الحبيب

**وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري**

فرد السلام قلبه قبل لسانه وشغله وكف شانه عن شانه وقال مقول إبدائه بعبارة صعدائه:

**خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى فلاقي به ليلا نسيم ربى نجـــد**
**فإن بذاك الجو حبـــــــــأا عهدته وبالرغم مني أن يطول به عهدي**

ثم انه طلب آخاه فاحتالوا بحجة - **منع منا الكيل** - فلما حملوا حال بينهم وبينه بحيلة جعل السقاية ، فلما دخل وقت التهمة أذن مؤذن فعادوا إلى أبيهم بشجى على شجن وقرح على جرح وعقر على عقر في عقر فقام وقد تقوس وعسى على باب عسى ثم بعثه لطف -**لا تقنطوا** - على أن بعثهم برسالة – **فتحسسوا**- فلما رجعوا دخلوا من قفر الفقر فاستلقوا في ساحة الضر ينادون على غليل عليل الذل وتصدق علينا تالله لقد جوزيت أيد مدها تغشرم وشروه أن مدت في طريق ذل وتصدق علينا فلما عرفوه اعترفوا، فمحى ما اقترفوا بكف - **لا تثريب**- فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد - **اذهبوا بقميصي** - فهبت نسايم الفرح فتوغلت في خياشيم مريض كالفرخ من فرج الفرج فخر ركام الزكام عن منخر الضر فنادى مدنف الوجد إني لأجد

**نشدتك الله يا نسيم ما فعلت بعدنا الرسوم**
**هل استهلت بها الغوادي ونمقت روضها الغيوم**
**وهل بها من عهدت فيها بعد على حاله مقيم**
**علل بروح الوصال صبا أنفاسه للجري سموم**
**وعد فسلم على أناس ما أنا من بعدهم سليم**
**واشرح لهم حال مستهام أنت بأشواقه عليم**
**وقل غريب ثوى بأرض في غيرها قلبه يهيم**
**يكابد الشوق حين يمسي وتعتري قلبه الهموم**
**أحبابنا تنقضي الليالي وما انقضت تلكم الكلوم**
**ذاك اللديغ الذي عهدتم بعد على حاله سقيم**
**أصبح من فقركم وحيدا فلا خليل ولا حميم**
**لم تجر ذكر الفراق إلا حن كما حنت الرزوم**

فلما كشف يعقوب فدام الوجد بكف - **إني لأجد**- احدقت به عواذل - **تالله تفتؤ**- تالله لو وجدوا ما وجد ما انكروا ما عرف :

للمهيار :

**هل لكما من علم بالطارق الملم**
**سرى على الدياجي سرى أخيه النجم**
**يشق نجدا عرضا من شخصه بسهم**
**فنور الليل وليست من ليالي التم**
**خذ يا نسيم عني تحيتي ولثمي**
**وهنهم بوجدهم من الكرى وعدمي**
**قالوا هجرت أرضهم أهجرها برغمي**
**قد وصلت إلى الحشا رسلكم بالسقم**
**فلم تدع واسطة بين دمي ولحمي**
**عج كي ترى رسوما ثلاثة في رسم**

**سوى النحول بيننا تعرفنا بالوهم**
**خط هلال ليلة ودارهم وجسمي)).(٣)**

***

**٥ ـ النص الاسطوري (٤):**

أبرز ما تعرض له المؤرخون من حياة النبي يوسف ما يلي:

١ـ هو يوسف بن يعقوب من زوجته راحيل، ولد في "فدان آرام" بالعراق حينما كان أبوه عند خاله (لابان)، ولما عاد أبوه إلى الشام ـ مهجر الأسرة الإبراهيمية ـ كان معه حدثاً صغيراً. قالوا: وكان عمر يعقوب لما ولد له يوسف (٩١) سنة، وإن مولد يوسف كان لمضي (٢٥١) سنة من مولد إبراهيم.

٢ـ توفيت أمه وهو صغير، فكفلته عمته وتعلقت نفسها به، فلما اشتد قليلاً أراد أبوه أن يأخذه منها، فضنَّت به وألبسته منطقة لإبراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه، ثم أظهرت أنها سُرقت منها، وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف، وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدةً جزاءً له بما صنع، وبهذه الحيلة استبْقَتْه عندها، وكف أبوه عن مطالبتها به.

٣ـ كان يوسف أثيراً عند أبيه من بين إخوته، وقد رأى يوسف ـوهو غلام صغيرـ رؤيا قصها على أبيه، فقال له أبوه: {لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} [يوسف: ٥]، وذلك خشية عليه من حسدهم. وخلاصة الرؤيا: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فعرف يعقوب أنها تتضمن مجداً ليوسف يجعل إخوته وأبويه يخضعون لسلطانه.

٤ـ حسده إخوته على ولوع أبيهم به وإيثاره عليهم، فدبروا له مكيدة إلقائه في الجب، فمرت قافلة فأرسلت واردها إلى البئر فأدلى دلوه، فتعلق يوسف به، فأخذوه عبداً رقيقاً وانتهى أمره إلى مصر فاشتراه رئيس الشرطة فيها، واحتل عنده مكاناً حسناً اكتسبه بحسن خلقه وصدقه، وأمانته وعبقريته. قالوا: ودخول يوسف إلى مصر يمكن تحديده قريباً من سنة (١٦٠٠) ق.م في عهد الملك أبابي.

٥ـ عشقته زوجة سيده وشغفت به، فراودته عن نفسه فاستعصم، فدبرت له مكيدة سجنه إذا لم يُلبّ رغبتها منه، فقال: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف: ٣٣].

٦ـ أعطاه الله علم تعبير الرؤى، وكشف بعض المغيبات، فاستخدم ذلك في دعوة السجناء معه إلى توحيد الله، وإلى دينه الحق.

٧ـ كان معه في السجن فتيان: رئيسُ سُقاةِ الملك، ورئيس الخبازين، فرأى كل منهما في منامه رؤيا وعرضها على يوسف.

أما رئيس سقاة الملك: فقد رأى أنه يعصر خمراً، فقال يوسف: ستخرج من السجن وتعود إلى عملك فتسقي الملك خمراً.

وأما رئيس الخبازين: فقد رأى أنه يحمل فوق رأسه طبقاً من الخبز، والطير تأكل من ذلك الخبز، فأخبره يوسف: أنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه.

وأوصى يوسف رئيس السقاة أن يذكره عند الملك.

وقد تحقق ما عبر به يوسف لكل من الرجلين، إلا أن ساقي الملك نسي وصية يوسف.
٨- لبث يوسف في السجن بضع سنين، حتى رأى الملك رؤيا البقرات السمان والبقرات العجاف، والسنابل الخضر والأخر اليابسات، فعرض رؤياه على السحرة والكهنة فلم يجد عندهم جواباً، عند ذلك تذكر ساقي الملك ما أوصاه به يوسف في السجن فأخبر الملك بأمره، فأرسله إلى يوسف يستفتيه في الرؤيا، فكان جواب يوسف بأن البلاد سيأتيها سبع سنوات مخصبات ثم يأتي بعدها سبع سنوات قحط وجدب. ثم يأتي بعد ذلك عام يغاث فيه الناس وتعم فيه البركة.
٩- أُعجب الملك بما عبر به يوسف، فدعاه للخروج من السجن، ولكن يوسف أراد أن يعاد التحقيق في تهمته قبل خروجه، حتى إذا خرج خرج ببراءة تامة، فأعاد الملك التحقيق، فاعترفت المرأة بأنها هي التي راودته عن نفسه. عند ذلك خرج يوسف من السجن، وقربه الملك واستخلصه لنفسه، وجعله على خزائن الأرض، ويشبه هذا المنصب منصب (وزارة التموين والتجارة)، وسماه الملك اسماً يألفونه في مصر بحسب لغتهم (صفنات فعنيح)، وجعله بمثابة الملك مسلّطاً على كلّ مصر، باستثناء الكرسيّ الأول الذي هو للملك.
١٠- نظم يوسف أمر البلاد، وأدار دفة المنصب الذي وُكل إليه إدارة رائعة، وادَّخر في سنوات الخصب الحب في سنابله، لمواجهة الشدة في سنوات القحط، وجاءت سنوات القحط التي عمت مصر وبلاد الشام، فقام بتوزيع القوت ضمن تنظيم حكيم عادل.
١١- علمت أسرته في أرض الكنعانيين بأمر في مصر، فوفد إخوته إلاّ شقيقه بنيامين إلى مصر طالبين الميرة، لأن أباه -سيدنا يعقوب- صار حريصاً عليه بعد أن فقد ولده يوسف، فلما رآهم يوسف عليه السلام عرفهم، وأخذ يحقق معهم عن أسرتهم وعن أبيهم، واستجرَّ منهم الحديث فأخبروه عن بنيامين، فأعطاهم ميرتهم ورد لهم فضتهم في أوعيتهم، وكلفهم أن يأتوا بأخيهم بنيامين في المرة الأخرى، وإلا فليس لهم عنده ميرة، فوعدوه بذلك.
١٢- ذكروا لأبيهم ما جرى لهم في مصر، والشرط الذي شرطه عليهم العزيز، وبعد إلحاح شديد ومواثيق أعطوها من الله على أنفسهم، أذن لهم يعقوب عليه السلام بأن يأخذوا معهم أخاهم بنيامين.
١٣- ولما وفدوا على يوسف عليه السلام دبَّر لهم أمراً يستبقي فيه أخاه بنيامين عنده، فكلف غلمانه أن يدسوا الإناء الفضيّ الذي يشرب به في رحل أخيه بنيامين. ولما حملوا ميرتهم عائدين إلى بلادهم أرسل الجنود للبحث عن سقاية الملك، فوجدوها في رحل بنيامين فأخذوه، وكان أمراً شديد الوقع على قلوبهم، وعادوا إلى يوسف يرجونه ويتوسلون إليه أن يخلي سبيل أخيهم، وعرضوا عليه أن يأخذ واحدا منهم مكانه، إلا أنه رفض. فرجعوا إلى أبيهم إلا كبيرهم رأوبين، وأخبروه الخبر فظن بهم سوءاً، وحزن حزناً أفقده بصره. ثم أمرهم بالعودة إلى مصر والتحسس عن يوسف وأخيه، فعادوا إلى مصر وألحّوا بالرجاء أن يمنَّ العزيز عليهم بالإفراج عن أخيهم، وخلال محادثتهم معه بدرت منها بادرة أسرها يوسف في نفسه، إذ قالوا: {إن يسرق فقد

سرق أخ له من قبل}، يشيرون إلى الحادثة التي اصطنعتها عمته حينما كان صغيراً لتستبقيه عندها.

١٤- وبأسلوب بارع عرّفهم يوسف بنفسه، فقالوا: {أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ؟!} قال: {أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا!} [يوسف: ٩٠] قالوا: {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا!} [يوسف: ٩١] والتمسوا منه العفو والصفح عما كان منهم، فقال: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [يوسف: ٩٢]. وطلب منهم أن يأتوا بأهلهم أجمعين، وبذلك انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، وأقاموا فيها وتوالدوا حتى زمن خروجهم مع موسى عليه السلام.

١٥- قالوا: ولما اجتمع يوسف بأبيه - بعد الفراق - كان عمر يعقوب (١٣٠) سنة، فيكون عمر يوسف يومئذ (٣٩) سنة، ثم توفي يعقوب بعدها بـ (١٧)سنة. وعاش يوسف عليه السلام من السنين (١١٠)، ومات في مصر وهو في الحكم ودفن فيها، ثم نقل رفاته إلى الشام أيام موسى عليهما السلام، ودفن بنابلس على الأرجح.

قالوا: وكانت وفاة يوسف عليه السلام قبل مولد موسى عليه السلام بأربع وستين سنة، وبعد مولد إبراهيم بـ (٣٦١) سنة. ولكن مثل هذه المدة لا تكفي مطلقاً لأن يتكاثر فيها بنوا إسرائيل إلى المقدار الذي ذكر مؤرخوهم أنهم قد وصلوا إليه أيّام موسى عليه السلام.

***

**الهوامش :**

١ - استخدمنا هنا مصطلح قصة لان النص القراني استخدم هذا المفهوم ، ومن ثم انسحب هذا المفهوم في الثقافة العربية الاسلامية ، اما نحن في هذه الدراسة فقد استخدمنت مصطلح اسطورة لاسباب سنذكرها في حينها .

٢ - تاريخ الطبري - الطبري ج ١ ص ٢٣١- ٢٥٥ .

٣ - ثمار القلوب في المضاف والمنصوب- والمنسوب لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابوري- قرص مكتبة الادب.

٤ - ماخوذ بتصرف من شبكة الانترنيت .

**المصادر:**

١- تفسير الطبري.قرص المكتبة الالفية للسنة النبوية.
٢- تفسير الثوري- سفيان الثوري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٣- جامع البيان - إبن جرير الطبري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٤- تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٥- التبيان - الشيخ الطوسي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٦- تفسير الميزان - السيد الطباطبائي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٧- تفسير ابن كثير. قرص المكتبة الالفية.
٨- أحكام القرآن – الجصاص. قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٩- علوم القران الكريم – د . غانم قدوري حمد – ط٣ – المطابع المركزية- ١٩٩٩ .
١٠– عصمة الانبياء – الفخر الرازي – انظر :قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.
١١- أضواء على الإسرائيليات في مصادر السنة والشيعة. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول .
١٢- القول العطر في نبوة سيدنا الخضر- حسن بن علي السقاف. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.
١٣- تنزيه الانبياء - الشريف المرتضى – قرص المعجم العقائدي - الاصدار الأول.
١٤- قصص الانبياء – الجزائري . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
١٥- الكشكول - بهاء الدين العاملي. قرص الشعرديوان العرب .
١٦- ثمار القلوب في المضاف والمنصوب- والمنسوب لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابوري- قرص مكتبة الادب.
١٧- مصارع العشاق السراج القاري. قرص الشعرديوان العرب .
١٨– الحيوان – الجاحظ . قرص الشعرديوان العرب .
١٩- الرسائل- الجاحظ.قرص الشعرديوان العرب .
٢٠- تاج العروس - الزبيدي . قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٢١- لسان العرب - ابن منظور. قرص المعجم الفقهي– الاصدار الثالث.
٢٢- مجمع البحرين - الشيخ الطريحي. برنامج المعجم - الاصدار الثالث .
٢٣- تاريخ الطبري. قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.
٢٤- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح:محمد عبد المنعم خفجي، - مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة - ط١ - ١٩٦٩ .
٢٥ - مصطلحات النقد العربي السيماءوي- الإشكالية والأصول والامتداد - ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ ٢- الدكتور مولاي علي بوخاتم - منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق -٢٠٠٥ .
٢٦- الشعر الجاهلي – د. سيد حنفي حسنين – الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ .
٢٧- النص ، السلطة ، الحقيقة – د . نصر حامد ابو زيد.
٢٨- الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم – د . محمد خليفه حسن احمد - دار الشؤون الثقافية العامة – ١٩٨٨ .

٢٩- ملخص من- اساطير من الشرق – سليمان مظهر – الكتاب الماسي –الدار القومية للطباعة والنشر – ب . ت .
٣٠- ألف ليلة وليلة –د. عبد الملك مرتاض – دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.
٣١– الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية- داود سلمان الشويلي- اتحاد الكتاب العرب – دمشق - ٢٠٠١ .
٣٢ - مدخل إلى نظرية القصة-سمير المرزوقي وجميل شاكر- دار الشؤون الثقافية العامة-١٩٨٦ بغداد .
**٣٣-** بناء الرواية- د. سيزا أحمد قاسم- الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٨٤.
٣٤- مجلة المورد – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الرؤيا في القران الكريم – عبد الجبار محمود السامرائي - ١٠ .

**الاقراص الليزرية :**

١- قرص مكتبة الادب.
٢ – المكتبة الالفية للسنة النبوية – ٥ .١ – ١٩٩٩- مركز التراث لابحاث الحاسب الآلي - الاردن ص .ب ٤١٠٣٥٤
٣ - قرص المعجم العقائدي – الاصدار الاول.
٤– المعجم الفقهي- الاصدار الثالث – ١٤٢١ – مركز المعجم الفقهي – الحوزة العلمية بقم المقدسة .
٥- موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية – ٥ر١ - مركز التراث لابحاث الحاسب الآلي - الاردن ص .ب .٤١٠٣٥٤
٦– الشعرديوان العرب – المجمع الثقافي – ٢٠٠٣.
٧- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- الأستاذ الدكتور :عبد الوهاب المسيرى- بيت العرب للتوثيق العصرى والنظم.

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية

Syrian Story